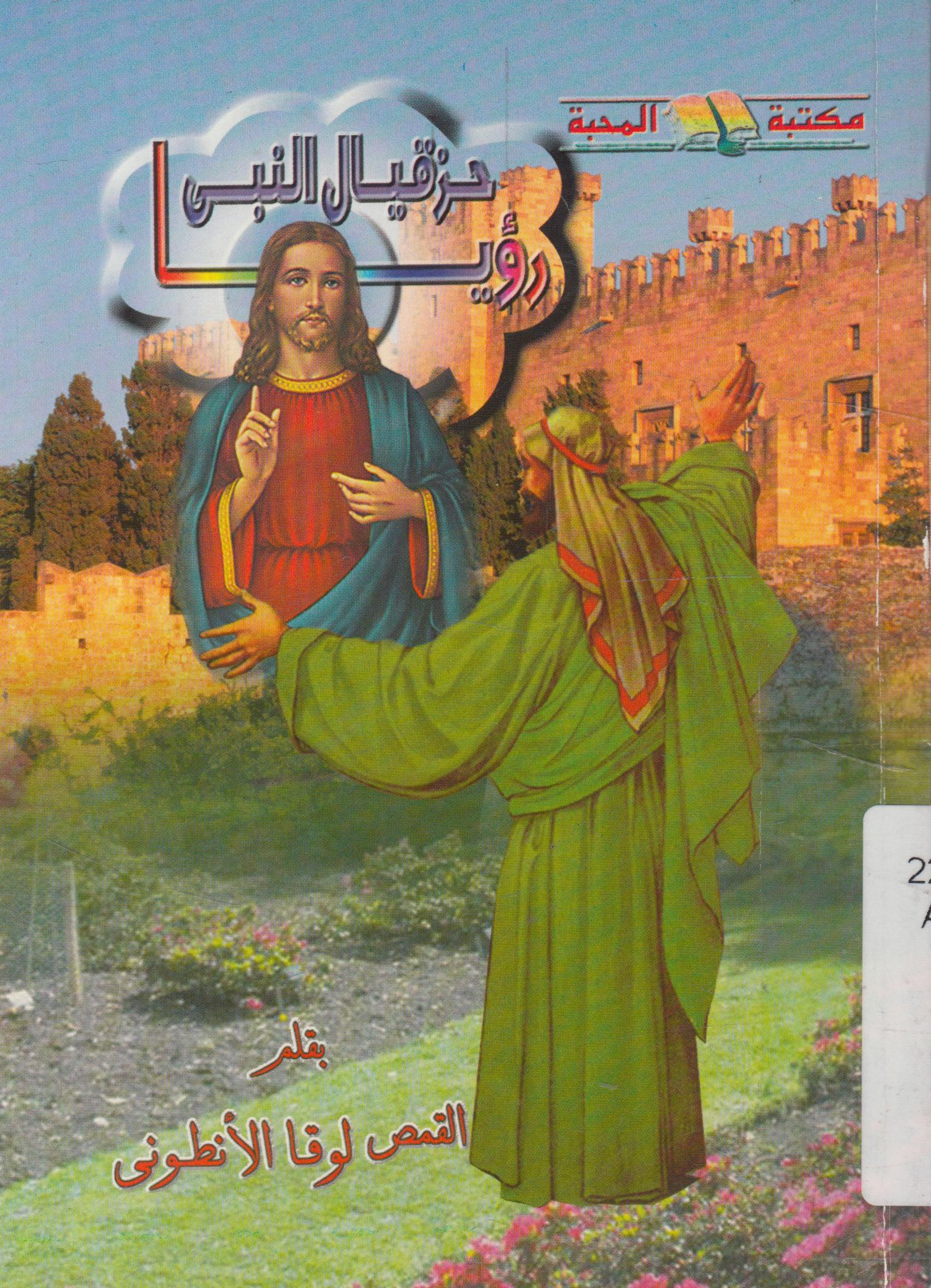

مكتبة المحبة
رؤيا حزقيال النبى
بقلم
القمص لوقا الأنطونى

رؤيا حزقيال النبى

القمص لوقا الأنطونى

الكتاب : رؤيا حزقيال النبى.

المؤلف : القمص لوقا الأنطونى.

الطبعة : الأولى ٢٠٠١م.

المطبعة : طبع بشركة هارمونى للطباعة ت ٦١٠٠٤٦٤ -فاكس ٦١٠٠٧٣٠

النشر والتوزيع : مكتبة المحبة ٣٠ش شبرا ـ القاهرة ت : ٥٧٨٢٩٣٢.

صورة الغلاف: القدس – منظر عام لجبل الزيتون.

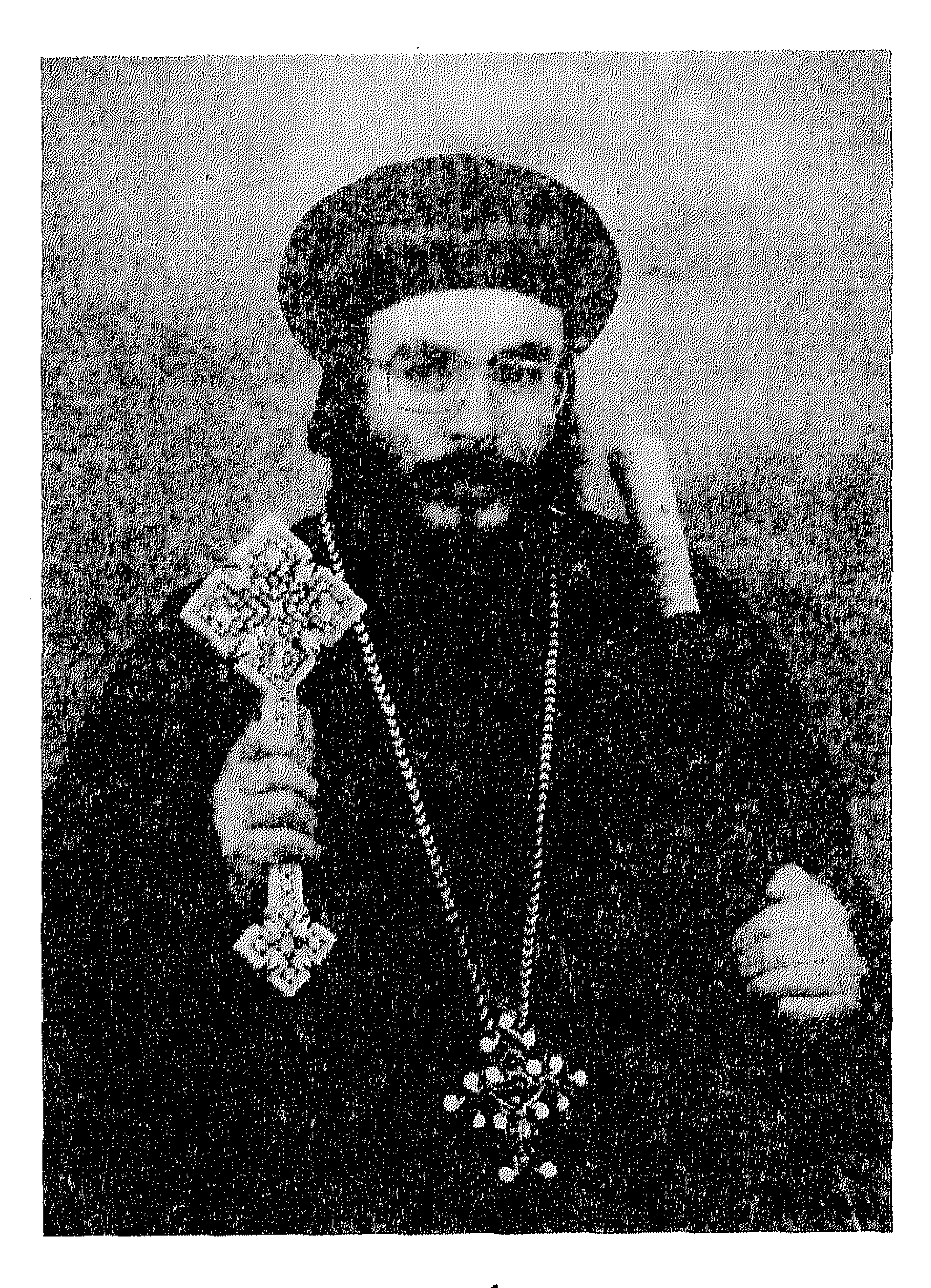
رقم الإيداع بدار الكتب : رقم الإيداع بدار الكتب ١٠١١٠ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى : الترقيم الدولى 977-12-0674-5



صاحب القداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الأنبا يسطس

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمـــة

إن رؤية الله أمينة جميلة بقدر ما هى غاية ممكنة يمكن أن يتحقق بها الإنسان وإن لم يكن ذلك ميسوراً لكل أحد وفى كل وقت...

فالرؤية إما أن تكون حسية وظاهرة، أى بالعين المجردة أو المكبرة وإما أن تكون عقلية وروحية وباطنية.

فالإنسان مخلوق ذو حواس خمسة، إحداها النظر والإنسان السليم له عينان يرى بهما الأشياء الخارجة عنه، فى صورة تنتقل إلى مقلتيه مقلوبة ثم تعتدل فى المخ، وهذه هى الرؤية الحسية المادية.

لكن الإنسان قد يرى أيضاً بروحه بعض الأمور رؤية عقلية باطنية، وهى الأفكار والأنظار العقلية. وقد يكون ضريراً لا ينظر ولا يبصر بعينى رأسه الظاهرتين ولكنه يدرك إدراكاً عقلياً الموضوع الذى يتحدثون إليه أو يناقشونه أمامه. ومن هنا جاء التعبير عن الأنظار العقلية والفكرية بقوله: "إنى أرى..." أى أرى بفكرى، والرؤية هنا باطنية وروحية وعقلية وفكرية.

وفيما يتصل بالله، وهو القوة العظمى، وخالق الكون، والعلة الأولى للوجود، لا يراه الإنسان بعينيه اللتين فى مقلتيه رؤية حسية فإنه تعالى مستشرف على المادة، ولذلك يوصف بأنه "الغير المنظور" و "الغير المدُرك" لا يُرى ولا يقدر أحد أن يراه.

جاء فى الكتاب المقدس "الله لم يره أحد قط" (يوحنا ١ : ١٨) "الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" (١ تيموثيئوس ٦ : ١٦).

ومع ذلك فالإنسان يرى الله بالعقل إذ يُدرك بعقله أنه لابد للوجود من خالق، هو العلة الأولى.

حقاً إن الله لا يُرى ولكن العقل يقود الإنسان إلى أن هناك الله، فيؤمن به وهذا هو معنى ما قاله القديس أوغسطينوس "العقل يسبق الإيمان" "وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى، والإيقان بأمور لا تُرى" (العبرانيين ١١ : ١).

من هذا المنطلق يمكن أن يقال إن الإنسان يرى الله، بمعنى رؤية روحية بالعقل والروح.

حزقيال معناه "الرب يقوى" وكان كاهناً من سبط لاوى، ويعد من

أعظم الأنبياء الذين ظهروا فى العهد القديم وهو بن بوزى ولد نحو سنة ٦٢٤ ق. م وصار كاهناً وسباه نبوخذ نصر إلى بابل سنة ٥٩٨ ق. م مع يهوياكين الملك وتنبأ بأمور عجيبة مدة ٢٢ سنة وأعلن له الله بعض الرؤى.

دُعِيَ للنبوة فى السنة الثلاثين من حياته باعتبار أن الكاهن يبدأ عمله فى الثلاثين من عمره ومن المرجح أنه بدأ النبوة عام ٥٣ ق. م إذ أنه كان واحداً من المسبيين عام ٥٩٣ ق. م وربما كان فى الخامسة والعشرين من عمره فى ذلك الوقت.

وفى الخامس من الشهر الرابع فى السنة الثلاثين من سبى بابل والسنة الخامسة للأنبياء من سبى يهوياكين رأى حزقيال رؤيا فى أرض الكلدانيين عند نهر خابور حيث انفتحت السموات ورأى حزقيال بن بوزى رؤى الله.

فكشفت لنا الكلمات عن رسالة كاهن الله فى كلِ زمانٍ ومكان أن ينذر ويوبخ ويجاهد لأجل رجوع الخطاة إلى الله لأنه مسئول عن رعيته فمن يهمل فى إنذاره يحاسبه الله عليه.

وكان لابد أن يظهر مجد الله بصورة جليلة ورهيبة حيث يعيش المسبيون فى أرض الضيق والشدة والتعب والمعاناة.

وكانت أيضاً كلها إرشادات إلى ملء الزمان إلى مجئ ربنا يسوع المسيح إلى العالم وعمل نعمته فى قلوب المؤمنين بدعوته وقبولهم الروح القدس الذى يرشدهم إلى الحق ويسكب محبة الله فى قلوبهم.

هذا ما رآه حزقيال النبى وما سمعه من مناظر ملآى بالدروس الروحية.

نسأل ونطلب من الإله القدير أن يجعل لنا ولكم نصيباً مع قديسيه فى ملكوته الأبدى.

بشفاعة القديسة **العذراء مريم أم الرحمة والخلاص** وبصلوات أبينا صاحب القداسة **البابا الأنبا شنودة الثالث** وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة **الأنبا يسطس**.

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

القمص لوقا الأنطونى

٢ أبريل ٢٠٠١م
٢٤ برمهات ١٧١٧ش } **تجلى السيدة العذراء بكنيستها بالزيتون**

الفصل الأول

رؤيا حزقيال
وتحقيقها فى العهد الجديد

بدأ حزقيال النبى سفره بتحديد تاريخ أول رؤيا إلهية أُعلِنت له وموضع سكناه فى ذلك الوقت والظروف المحيطة به (١). فهو يقول: "كان فى السنة الثلاثين". وغالباً ما كان يقصد أنه عندما بلغ الثلاثين من عمره، وكان كاهناً لله، ولكنه حُرِم من التمتع بخدمته الكهنوتية بسبب السبى، فكان يجلس عند تل أبيب (٢) على ضفاف نهر خابور، ويبكى حال بلده وشعبه وهيكل الرب، ولسان حاله يردد المزمور: "كيف نسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة...؟" (مز ١٣٦). وربما إنه

---

(١) فى السنة الخامسة من السبى حوالى سنة ٥٩٢ ق. م.، وقبل سقوط أورشليم فى المرحلة التالية من السبى بسبع سنوات إنفتحت السموات أمام حزقيال ليرى رؤى الرب. فرأى المركبة النارية كبدء انطلاقة لتسليم حزقيال العمل النبوى فى هذا الجو المر لمدة ٢٢ عاماً تقريباً، وبعد ذلك توالت نبواته المذكورة فى سفره على ثمانِ مراحل عبر السنوات الـ٢٧ التالية للسبى.

(٢) تل أبيب بالعبرية تعنى "كومة القمح"، وفى الڤولجاتا: "تل السنبلة"، وبالسريانية: "تل حبيب" أو تل الأحزان، وهى تقع جنوب شرق بابل، وهى غير تل أبيب الحالية التى أنشأها اليهود عام ١٩٠٩م. بالقرب من يافا فى فلسطين كمركز لليهود المهاجرين.

كان يقصد السنة الثلاثين من بدء يوشيا الملك حركة ترميم الهيكل والإصلاح الدينى، كما يُحتمل أنه كان يقصد السنة الثلاثين من حكم نبوبولاسر والد نبوخذ نصر ملك بابل.

وهكذا تمررت نفس الكاهن المسبى فارتفع به الروح إلى السموات ليدخل به إلى أورشليم العليا ويتمتع بالهيكل الأبدى، فلم يعد يرى بعد تابوت عهد ومنارة ذهب ومذبح بخور... بل المركبة الإلهية النارية والعرش الإلهى النارى. وقد أردف قائلاً: "إن السموات انفتحت فرأيتُ رؤى الله"، رأى الأسرار الإلهية بصورة تتناسب مع الظروف التى كانت محيطة به، فامتلأت نفسه تعزية إذ رأى خلالها الطبيعة البشرية المتجددة بالروح القدس النارى والتى وُهِبت لنا بالمسيح يسوع ربنا خلال مياه المعمودية المقدسة وقد صارت مركبة نارية تحمل الله نفسه.

جاءت هذه الرؤية الأولى، والتى سوف تتكرر فيما بعد، لتخدم الأمور التالية:

أولاً: لتعزّى نفس حزقيال المحطّمة، كما اختُطِف القديس بولس إلى السماء الثالثة فى وقت شدته بعد رجمه فى لسترة، وكما كان القديس

يوحنا فى الروح فى يوم الرب أثناء نفيه فى جزيرة بطمس.

ثانياً: لتغطّى احتياجات الخدمة آنئذٍ لأن نفسية الشعب كانت منهارة أيضاً، إذ كان الكلدانيون يطوفون بموكب الإله بال أو مرودخ (٣) فى شوارع العاصمة فى عظمة وأبهة، بينما حُرِم هذا الشعب من هيكله وانقطعت تسابيح التهليل من فمه، لهذا أعلن الله نفسه لحزقيال النبى فى المركبة النارية المملوءة مجداً وبهاءً ليؤكد لهم أن مجد الله يملأ السماء والأرض.

ثالثاً: لتعلن هذه الرؤية عن عطية الله للطبيعة البشرية التى تتقدس بالتجسد الإلهى، فالمركبة النارية إنما هى الكنيسة المقدسة كعرش إلهى، وهى تمثل الكنيسة الجامعة كما تمثل نفس المؤمن الذى صار عضواً فيها ومركبة ملتهبة تحمل الله فى داخلها على الدوام.

رابعاً: أراد الله أن يعلن لحزقيال النبى ما ينبغى أن يكون عليه خادم الرب، فإن كان الله ناراً آكلة فهكذا خدامه أيضاً ينبغى أن يكونوا لهيباً نارياً (مز ١٠٤ : ٤) ويتشبهون بالمركبة النارية، وفى هذا يقول

---

(٣) كلمة "بال" ترادف "بعل" فى العبرية، وهو الإله القوطى والرئيسى فى بابل، ويسمى "مرودخ" أى إله الشمس والربيع.

القديس يوحنا ذهبي الفم: (كل من يقوم بدور قيادى يلزمه أن يكون أكثر بهاءً من كوكب منير فتكون حياته بلا عيب يتطلع إليه الجميع ويقتدون به.)

هذا وقد شملت رؤيا حزقيال ستة أمور هى: الريح والسحابة والنار، والمخلوقات الحية الأربعة، والبكرات، والمقبب، وشبه العرش والجالس عليه، وأخيراً قوس قزح. وكان النبى يكرر كثيراً كلمة "يشبه" لأنه يصف أموراً لا يُعبَّر عنها، وكأن اللغة البشرية والرموز لم تُسعفه ليعبِّر عما رآه.

(١) الريح والسحابة والنار:

"فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال وسحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار" (حز ١ : ٤).

غالباً ما تظهر هذه الأمور الثلاثة حيثما يُعلَن مجد الرب، فالريح يحمل معنى القدرة الإلهية المعلَنة فى الطبيعة، لهذا يقول داود النبى: "يأتى إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تأكل وحوله عاصف جداً" (مز ٥٠ :

٣)، ويعلق القديس **أوغسطينوس** على هذا النص بقوله: "هذا العاصف يصنع بلا شك نوعاً من الفصل أو التقسيم...، فى هذا التقسيم يحدث التمييز بين الأبرار والأشرار. فكأن الريح قد أخذ مفهوماً أخروياً فى ذهن القديس أوغسطينوس، لأننا ما دمنا فى هذا العالم كالسمك فى الشبكة لا يكون فصل بينهما، ولكن إذ يُؤتى بها إلى الأرض، أى إلى يوم الرب العظيم، يقوم الريح العاصف بعزل هؤلاء من أولئك.

أما فى سفر حزقيال فقد شعر النبى بالريح العاصف قادماً من الشمال (عد ٤)، وكأن الرب يؤكد على أنه يهبُّ على شعبه بروح الفصل والتمييز ليؤدِّبهم على شرهم ويدخل بهم من خلال السبى والألم إلى الحياة النقية.

أما عن السحابة العظيمة، فمنذ القديم ارتبطت الحضرة الإلهية بالسحاب (٤):

(أ) يرى القديسون **كيرلس الكبير وأوغسطينوس وچيروم** أن السحاب يرمز لناسوت المسيح الذى ظهر لنا من خلاله وقد اختفى

(٤) (خر ١٣: ٢١، ١٦: ١٠، ١٩: ٩، ٣٣: ٩و١٠، ٤٠: ٣٤)، (١مل ٨: ١١).

اللاهوت عن أعيننا، أما ظهوره فى اليوم الأخير مع السحاب فيعنى إخفاء مجد لاهوته عن الأشرار فى يوم الدينونة فلا يتمتعون به، أما الأبرار فينعمون بأمجاد الإله المتأنس وينكشف لهم بهاؤه.

(ب) ويرى **البابا ديونيسيوس الإسكندرى** أن السحاب يشير إلى جماعة الملائكة غير المحصاة التى تظهر محيطة بالرب يوم مجيئه.

(ج) ويرى القديس **أوغسطينوس** أن السحاب يشير إلى جماعة الكارزين، إذ يقول: "كلمة الله الذى هو المسيح يكون فى السحاب، أى فى الكارزين بالحق، بل ويرى أن كل عضو من أعضاء الكنيسة يمثل سحابة يأتى فيه السيد المسيح، إذ يقول: "يأتى الآن فى أعضائه كما فى السحب، أو يأتى فى الكنيسة التى هى السحابة العظيمة (التى للشهود)".

(د) ويرى القديس **أمبروسيوس** أن السحابة التى تظلل الكنيسة هى جماعة الأنبياء الذين يقدمون لها شخص السيد المسيح من خلال نبواتهم، إذ يقول: "كان موسى ويشوع سحابتين، لاحظوا أن القديسين هم سُحُب "هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها" (إش ٦٠ :

٨)، فإشعياء وحزقيال هما سحابتان فوقاً منّى، أظهرا لى قداسة الثالوث خلال الشاروبيم والسيرافيم. والأنبياء جميعهم سحب جاء فيها المسيح. لقد جاء فى النشيد إنه قادم فى سحابة صافية ومحبوبة متألقة بفرح العريس (نش ٣ : ١١)، إشارة إلى مجيئه فى سحابة سريعة متجسداً من العذراء، إذ رآه النبى كسحابة قادماً من المشرق (إش ١٩ : ١)، فبالحق دعاه سحابة سريعة (خفيفة) إذ ليس فيها شئ من وصمات الأرض تثقله.

(هـ) ويقول العلامة **أوريجانوس** فى الحديث عن السحابة المنيرة التى ظهرت أثناء تجلّى السيد المسيح له المجد: (أتجاسر فأقول إن مخلصنا أيضاً هو السحابة المنيرة التى تظلل الإنجيل والناموس والأنبياء، هكذا أدركه الذين رأوا نوره فى الإنجيل والناموس والأنبياء).

أما بخصوص النار المتواصلة فظهور المركبة الإلهية خلال نار متواصلة هو إعلان عن حضرة الله النار المتقدة الذى يحرق الأشواك الخانقة للنفس، وفى نفس الوقت يهبها استنارة داخلية لتضئ كالبرق فيكون لها لمعان، ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار.

تحدث القديس **كيرلس الأورشليمى** عن عمل الروح القدس النارى فى النفس البشرية خلال المعمودية فقال: (لماذا تتعجب؟ خذ مثلاً من الواقع وإن كان عادياً ودارجاً لكنه نافع للبسطاء: إن كانت النار تعبر خلال قطعة حديد فتجعلها كلها ناراً، هكذا من كان بارداً يصير ملتهباً، وإن كان أسوداً يصير لامعاً. فإن كانت النار التى هى جسم تخترق الحديد هكذا وتعمل فيه بلا عائق وهو أيضاً جسم، فلماذا تتعجب أن الروح القدس يخترق أعماق النفس الداخلية؟!).

ويقول القديس **يوحنا ذهبي الفم**: (كما أن قوة النار حين تتسلط على عروق الذهب الغشيمة المختلطة بتراب الأرض تتحول إلى ذهب نقي، هكذا بل وأكثر من هذا يعمل الروح القدس فى المعمودية فى الذين يغسلهم إذ يحَوّلهم إلى ما هو أنقى من الذهب عوض الطين، فحينما يحل الروح القدس كالنار فى نفوسنا يحرق أولاً صورة الترابى ليعطي صورة السمائى، فتصير كعمُلة بهية متلألئة خارجة من أفران الصهر).

ويعلق القديس **أوغسطينوس** على كلمات المرتل: "قدامه تذهب نار"

(مز ٧ : ٣) قائلاً: (هل تخاف أن تتغير؟ لا تخف! فمن الممكن أن يخاف التبن من النار، ولكن ماذا تفعل النار للذهب؟) . كما يعلق على العبارة: "لأنك جربتنا يا الله محصتنا كمحص الفضة" (مز ٦٦ : ١٠)، فيقول: (لا تحرقنا بالنار كالهشيم، بل محّصنا كالفضة، فباستخدم النار لا تصيّرنا رماداً بل أغسلنا من الدنس) .

(٢) الأربعة كائنات الحية:

يقول حزقيال النبى إنه رأى أربعة وجوه لكل مخلوق حى، من كل جانب وجه، ولعل السبب هو أنه تطلع إلى الخليقة من الأربعة جوانب (بالمقابلة مع رؤيا يوحنا اللاهوتى الأصحاح الرابع، الذى نظر إليها من جانب واحد فقط) خاصة وأن حزقيال رأى المركبة فى حالة تحرك من جميع الجهات:

(أ) هذه الوجوه كما يرى القديس **يوحنا ذهبى الفم** إنما تشير إلى تشفعُ هذه الكائنات الروحية فى جنس البشر (وجه الإنسان)، وفى حيوانات البرية (وجه الأسد)، وفى حيوانات الحقل (وجه الثور)، وفى طيور السماء (وجه النسر)، لأنهم كائنات قريبة من الله له المجد أكثر

من سائر الروحانيين السمائيين.

وإن أخذنا بتفسير القديس **غريغوريوس النزينزى والعلامة أوريجانوس** نرى فى المركبة النارية النفس وقد تقدّست بكل طاقاتها لتحمل العرش الإلهى، فالأسد يشير إلى القوى الغضبية، والثور إلى القوى الشهوانية، والإنسان إلى القوى العقلية، والنسر إلى القوى الروحية. وهذا هو عمل الروح القدس فى النفس أنه يُلهِب طاقاتنا بناره لا ليحطمها بل ليقدسها ويجعلها متكاملة معاً، فتصير أشبه بمركبة نارية تحمل الله فيها! وإن أخذنا بتفسير القديسين **ڤيكتورينوس** (٥) **وإيرينيئوس** نرى فى هذه الوجوه إشارة إلى الأناجيل الأربعة التى تقود النفس إلى الخلاص فتتمتع بالملكوت لا كأمر بل فى داخلها. وإن أخذنا بتفسير القديس **چيروم** نرى أن سر حملنا لله النار الآكلة يكمن فى تمتعنا بالخلاص الإلهى خلال التجسد (شبه وجه إنسان)، والصليب (شبه وجه الثور)، والقيامة (شبه وجه الأسد)، والصعود (شبه وجه النسر)، بهذا السر الملتحم تنطلق النفس لتحمل بالروح القدس

---

(٥) من آباء القرن الرابع، وكان أسقفاً لمدينة Pateu (بفرنسا)، واستشهد عام ٣٠٤م

الحياة الإلهية فى داخلها.

(ب) ويظهر كل مخلوق حى بأربعة أجنحة، أما فى سفر الرؤيا فلكل مخلوق ستة أجنحة، ولعل الإختلاف ناجم عن ظهور ما سماه حزقيال النبى بالمقبب على رؤوس الخليقة الحية. وكأن كل مخلوق حى قد رفع جناحين فوق رأسه على شكل قبة ليستر عينيه من بهاء عظمة الله، فلم يظهر الجناحان المرفوعان بل الأربعة الأُخرى. وقد لاحظ حزقيال النبى أن أجنحة الشاروبيم متصلة الواحد بأخيه (حز ١ : ٩)، فإن كان الكاروب يمثّل أعلى طغمة سماوية، فإن حياته المقدسة الملتهبة ناراً لا تظهر كسرٍ يحمل العرش الإلهى إلا باتحادها مع حياة غيره، ولعل هذا ما دفع القديس مقاريوس الكبير إلى القول بأنَ خلاص الإنسان فى حياة الآخرين، إذ لا يستطيع أن يتمتع بالخلاص منعزلاً عن أخيه بل كعضو معه فى الجسد الواحد للرأس الواحد.

(ج) وتطلّع النبى أيضاً إلى هذه المخلوقات الحية فرأى وجوهها من كل جانب وكأنها بلا ظهر تستطيع أن تتحرك فى جميع الإتجاهات دون أن تستدير (حز ١ :٩). إذ يليق بالحامل للعرش الإلهى، وقد دخل

إلى كمال المجد، ألاّ يكون له ظهر بل يكون كله أوجهاً وكله أعيناً دائم التطلع إلى الله بلا عائق.

(د) ورأى النبى المخلوقات الحية دائمة الحركة بطريقة متناسقة وهى كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح من النار، ويخرج منها ما يشبه البرق (حز ١ : ١٣).

إنها صورة حية لعمل الله فينا الذى يجعلنا دائمى الحركة نحوه يلهبنا فيجعلنا ناراً متقدة، وينيرنا فنصير كالبرق مملوئين به بهاءً.

(هـ) وصوت حركتها مرعب كصوت مياه كثيرة كصوت جيش، هذا هو عمل الله فى حياتنا إذ يجعل من النفس جيشاً قوياً لا يغلبه الشيطان وكل قواته. لهذا يقول القديس **كيرلس الأورشليمى** لطالبى العماد: (يأتى كل واحد منكم ويقدم نفسه أمام الله فى حضرة جيوش الملائكة غير المحصاة، فيضع الروح القدس علامة على نفوسكم، بهذا تُسجَّل أنفسكم فى جيش الملك العظيم) .ويقول الأب ثيئودور المصيصي (الآن قد أُخترِت لملكوت السموات، ويمكن التعُّرف عليك إن فحصك أحد فيجدك جندياً عند مالك السماء) .

(و) وفي الأصحاح العاشر دعا حزقيال النبي المخلوق الحي كاروباً، والعجيب أن الكاروب ارتبط بخلاصنا إرتباطاً وثيقاً، ظهر في أول أسفار الكتاب المقدس ممسكاً سيفاً ملتهباً يحرس طريق الفردوس حتى لا يدخل الإنسان إلى شجرة الحياة، إذ لا تقدر طبيعة الإنسان الساقطة أن تقترب من سر الحياة؛ كما ظهر الكاروب في آخر أسفار الكتاب المقدس مع الأربعة وعشرين قسيساً السمائيين يشتركون في تسبحة الحمل التي هي تسبحة خلاصنا (رؤ ٥ : ٩)، إذ صار للإنسان حق الدخول إلى السماء عينها، وقد تمجدت طبيعته فى المسيح يسوع الحمل الحقيقي. أما بين بدء الكتاب ونهايته، فيظهر أيضاً كاروبان على تابوت العهد فى خيمة الإجتماع والهيكل علامة الحضرة الإلهية، وكان الله يتحدث مع موسى من خلالهما. ورسم شكل الكاروب على ستائر الخيمة والحجاب (خر ٢٥ : ١٨) رسماً يقترب من شكل الإنسان مجنحاً ليعلن عن اقتراب الطبيعة البشرية إلى الحضرة الإلهية.

لقد عرف الإنسان الأول الكاروب فصار ليس غريباً عن البشرية، إذن حينما نرى الكاروب نذكر طبيعتنا البشرية التى تمتعت بالخلاص خلال

إتحادها مع الله في المسيح يسوع ربنا بواسطة روحه القدوس. أما وجوهه الأربعة فتشير إلى تقديس طبيعتنا الجديدة من كل جوانبها : العقلية (الإنسان) ، والروحية (النسر) ، والغضبية (الأسد) ، والجسدية (الثور) .

(ز) وذكر العلامة **كليمندس الإسكندري**، عن المؤرخ فيلو اليهودي، أن كلمة كاروب تعني معرفة، وكأنه من خلال المعرفة الروحية تصير حياتنا مركبة تحمل داخلها الله، وهذا ما أورده أيضاً القديس **چيروم** الذي رأى في الكاروب رمزاً لقوة المعرفة التي تعمل في طبيعتنا لترفعها وتنطلق بها بين القوات السماوية، تعمل في طبيعتنا المتسلطة على الشهوات كأسد، وتحلق في الأمور العلوية كنسر، وتعمل مجاهدة كثور، ويتعقل كإنسان. هذه المعرفة نغترفها من الأناجيل الأربعة، إذ يقول نفس القديس : (إن متى ومرقس ولوقا ويوحنا هم فريق الرب الرباعي، الكاروبيم الحقيقيون، أو مخزن المعرفة فإن جسدهم مملوء أعيناً ومتلألئ كالبرق... أقدامهم مستقيمة ومرتفعة، ظهرهم مجنح، مستعدون للطيران في كل الإتجاهات، كل واحد منهم يمسك بالآخر، يتشابك الواحد مع غيره، كالبكرات متدحرجين على طول الخط يتحركون حسب نسمات الروح القدس) .

٣. البكرات :

"فنظرت الحيوانات وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة، منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزبرجد، وللأربع شكل واحد ومنظرها وصنعتها كأنها كانت بكرة وسط بكرة. لما سارت سارت على جوانبها الأربعة. لم تدر عند سيرها. أما أُطرها (حوافها أو إطارها) فعالية ومخيفة، وأُطرها ملآنة عيوناً حواليها للأربع. فإذا سارت الحيوانات سارت البكرات بجانبها وإذا ارتفعت الحيوانات عن الأرض ارتفعت البكرات. إلى حيث تكون الروح لتسير يسيرون إلى حيث الروح لتسير والبكرات ترتفع معها لأن روح الحيوانات كانت فى البكرات" (حز ١ : ١٥ ـ ٢٠).

ما هى البكرات التي على الأرض، التي تحمل في داخلها روح المخلوقات الحية، والتي تتحرك بانسجام وفي نفس الوقت مرتفعة ومخيفة ومملوءة أعيناً ومنظرها كشبه حجر الزبرجد البكرة فى وسط البكرة؟

يجيب القديس **چيروم** على هذا السؤال : (البكرتان هما العهدان

الجديد والقديم، فإن القديم يتحرك في الجديد والجديد يتحرك في القديم).

ويدلل على ذلك بما جاء في الأصحاح : "أما هذه البكرات فنودي إليها في سمعي جلجل" (Gelgel ؛ ١٠ : ١٣ سبعينية). فإن كلمة جلجل غير كلمة جلجال التي تعني متدحرج (تث ١١ : ٣٠) أو دائرة فإن الأولى تتكون من كلمتين "جل جل" وتعنيان "إعلان". وكأن الصوت الذي سمعه حزقيال النبي خارجاً من البكرات هو "إعلان العهد الجديد وإعلان العهد القديم"، فقد التحم العهدان معاً بقصد إعلان سر خلاص النفس البشرية بواسطة المسيح يسوع الذي هو مركز الإنجيل. وفي هذا يقول القديس **أمبروسيوس** : (رأى النبي بكرة وسط بكرة. هذه الرؤيا بالتأكيد لا تشير إلى أمر جسدي بل إلى نعمة العهدين. فالبكرة التي في وسط البكرة هي الحياة تحت الناموس والبكرة التي من الخارج هى الجياة خلال النعمة). ويقول القديس **يوحنا ذهبي الفم** : (العهدان مترابطان معاً ومتضافران كل منهما مع الآخر). العهد الجديد يكشف أسرار العهد القديم التي كانت مختفية وراء الظلال. لقد رأى النبي

البكرات على الأرض لكن إطارها عالٍ ومخيف، وكأن كلمة الله التي قُدِّمت في العهدين إنما نزلت إلينا خلال لغتنا البشرية لكي نتفهمها ونعيشها ونحن هنا على الأرض، وفي نفس الوقت هي مرتفعة ومخيفة ترفع النفس إلى السماويات وتدخل بها إلى الأسرار الإلهية المملوءة هيبة ورعدة. وفي هذا المعنى يقول القديس يوحنا **ذهبي الفم** : (لا يمكن لمن أُنعم عليه بفاعلية كلمة الله أن يبقى هكذا في الإنحطاط، بل بالحري يطلب له جناحين ينطلق بهما حالاً إلى الأرض العلوية، مكتشفاً نور الصالحات غير المحدودة).

أما منظرها فشبه منظر الزبرجد، وهو نوع من الحجارة الكريمة الشديدة الصلابة ذات اللون الأخصر الفاتح، وهو الحجر العاشر على صدرية رئيس الكهنة (خر ٢٨ : ٢٠) التي يدخل بها إلى قدس الأقداس. وهذا يعني أن كلمة الله تهب النفس صلابة وقوة لمجابهة كل حرب ضد الشيطان. أما اللون الأخضر الفاتح فعلامة على ما تقدمه في حياة الإنسان من ثمار إذ تجعل قلبه فردوساً مفرحاً. وهذا الحجر هو أحد الأحجار التي تزين أساسات أورشليم الجديدة (رؤ ٢١ : ٢٠). وكأن

كلمة الله هى زينة العروس التي تتمتع بالدخول إلى الأبد!

٤ . المقبب :

"وعلى رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلّور الهائل منتشراً على رؤوسها من فوق" (حز ١ : ٢٢). لقد رأى النبي على رؤوس هذه الخليقة الحية السماوية شبه جَلَد السماء (مقبب) على شكل قبة، هكذا حينما يتقدم المؤمن بكل طاقاته الجسدية والفكرية والنفسية والروحية والعاطفية، كآلات برٍّ مقدسة للرب، تتحول حياته إلى ما يشبه قبة سماوية تظلل قلبه الداخلي.

وفي هذا يقول القديس **يوحنا سابا** المعروف بـ "الشيخ الروحاني": (هوذا السماء داخلك إن كنت طاهراً والملائكة فيها تنظرهم مشرقين...، مملكة طاهرِ النفسِ داخل قلبه والشمس التى تشرق فيها هي نور الثالوث، وهواء نسيمها هو الروح القدس المعزي، والسكان معه هم طبائع الأطهار الروحانية، وحياتهم وفرحهم وبهجتهم هو المسيح ضياء الآب).

أما كون المقبب له منظر كالبلُّور الهائل المنتشر، فذلك لأن طبيعة البلُّور تعكس المنظر الذي أمامه في داخله كأنه مرآة. وهكذا ينعكس في داخل المؤمن منظر الرب المحمول فوق المقبب. بمعنى أن النفس وقد صارت سماء للرب ومَقْدِساً له، إنما صارت كالبلُّور الذي يحمل صورته ويعكس سماته فيها. هذا المنظر يذكّرنا بما رآه يوحنا اللاهوتي: "وقدام العرش بحر من زجاج شبه البلُّور" (رؤ ٤ : ٦). وإذ تنعكس إشعاعات الجالس على العرش شمس البر على البحر البلُّوري تظهر ألوان الطيف واضحة على المخلوقات الحية، أي تظهر مواهب الله وعطاياه المتعددة والمتنوعة في حياة المؤمنين.

٥. العرش والجالس عليه:

"وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش شبهٌ كمنظر إنسان عليه من فوق. ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخله من حوله من منظر حقويه إلى فوق ومن منظر حقويه إلى تحت رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها" (حز ١ : ٢٦ و٢٧).

إذا تحولت حياة المؤمن إلى قبة سماوية انعكست عليها الألوان المختلفة خلال شبه البلُّور فيظهر عليها عرش اللّه وفي داخلها يظهر كلمة اللّه المتجسد ملكاً متربعاً على القلب. إنه كمنظر إنسان وفي نفس الوقت كمنظر النحاس اللامع من حقويه متقد ناراً، ومن حقويه إلى أسفل مملوء لمعاناً. هكذا يظهر الرب لنا بالنار المتقدة التي تحرق كل شرٍّ فينا وبالبهاء الذي يسكبه على أعماقنا الداخلية تنفتح بصيرتنا الداخلية وتمتلئ مجداً. إنه يقترب إلينا لأجل مصالحتنا فيحرق فينا أعمال الإنسان العتيق ويملأنا بهاء بالإنسان الجديد. وقد رأى **القديس اغريغوريوس** الناطق بالإلهيات سر التجسد الإلهي مُعلَناً خلال هذه الرؤيا فقال : (إن هذه المركبة الحاملة للّه هى القديسة مريم العذراء التي ظللها الروح القدس فصارت ممجَّدة ومملوءة بالفضائل).

٦. قوس قزح :

وحيث يظهر العرش الإلهي نرى قوس قزح حوله (رؤ ٤ : ٣)، وذلك لأن مجد اللّه ليس جبروتاً وعظمة فحسب إنما هو أيضاً حب بلا حدود، وقوس قزح علامة الحب التي قدمها اللّه حين أقام عهداً مع

نوح بعد الطوفان (تك ٩). ويبقى الله كمحب للبشرية يقدم لنا كل حب خلال عهده معنا. هذا القوس له ألوان كثيرة تعلن عن إحسانات الله وعطاياه المتعددة لنا، وهو قوس يشير إلى القوس الذي كان مستخدماً في الحروب، وكأن الله يدافع عنا بقوسه ولكن بدون سهام لأنه غير محب لسفك الدماء، به نغلب الخطيئة وندوس على الشيطان.

وأخيراً نورد ما ذكره **الأب نوڤاتيوس** (من آباء القرن الثالث) عن هذه الرؤية؛ فهو قد رأى في المركبة النارية رمزاً لرعاية الله وعنايته، هذا الذي يتنازل من أجل الإنسان. ففي رأيه إن المركبة هى العالم وما يضمه من كواكب بحركاتها المنتظمة. وقال إن الله يحكم العالم مستخدماً الملائكة الذين رمز إليهم بالمخلوقات الحية، أما البكرات فهى حركة الفصول والأيام، والأقدام تشير إلى حركة الزمن، والعيون التي للبكرات هى عناية الله التي لا يخفى عنها شيء. والنار تشير إلى القوة الحيوية التي تنعش العالم أو الحرارة التي بدونها يقف العالم في سكون. أما الحقوان اللذان يضبطان المخلوق الحي فهما الناموس الطبيعي.

الفصل الثانى

الدعوة للمجاهرة بقوة كلمة الله

فى هذا المقال عرضنا لخلاصة الأصحاحين الثانى والثالث من سفر حزقيال النبى. فبعد ما استعلنت رؤيا الشاروبيم للنبى أحس بالقوة التى تدفعه بشجاعة للمناداة بالرسالة الإلهية وبمسئوليته كرقيب من الله للقيام بهذا العمل الكبير وسط شعب معاند.

الدعوة وتقدير المسئولية :

بعدما شاهد حزقيال النبى المركبة النارية خرَّ على وجهه فى عجز تام، وكأنه شارف على الموت، لهذا أمره الرب : "يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك" (حز ٢ : ١). إنه لا يمكن الحديث مع من بلغ الموت بل يليق به بالحري أن يقوم أولاً فيحيا بسماع صوت الرب. وهذا هو ما حدث فيما بعد مع شاول الطرسوسى، إذ لما ظهر له المسيح سقط على الأرض كميت فسمع الصوت الإلهى : "قم وقف على رجليك لأنى ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت" (أع ٢٦ : ١٦)،

ومنذاك كان يبشر "بيسوع والقيامة" (أع ١٧ : ١٨). وكذلك كان الرسل أيضاً بعد إجتيازهم ضيقة الصليب وموت المسيح، صاروا بقوة عظيمة "يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع" (أع ٤ :٣٣).

وإن كان الأمر قد صدر للنبى بالقيام، لكن كيف تستطيع الجبلة الساقطة أن تقوم؟ إنها فى حاجة إلى روح الله نفسه واهب الحياة. ويصف حزقيال قيامته هكذا : "فدخل فىّ روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى" (حز ٢ : ٢)، وكأنه ما كان يمكنه أن يسمع الصوت الإلهى المتكلم معه أولاً ولا أن يدخل معه فى حديث الحب إلا بدخول الروح القدس إلى حياته. بهذا يُفهم كلام الله ويُختبر عمله ويمكن التبشير بقوته.

كان عمل حزقيال المنوط به فوق كل طاقة بشرية، وقد صارحه الله بذلك منذ البداية قائلاً : "يا ابن آدم أنا مُرسلك إلى أمة متمردة قد تمردت علىّ هم وآباؤهم، عصوا علىّ إلى ذات اليوم والبنون قساة الوجوه وصلاب القلوب أنا مُرسلك إليهم" (حز ٢ : ٤,٣). كأن الله يؤكد له صعوبة العمل وأنه يحتاج إلى مواجهة أُناس قساة ومتصلبين أباً

عن جد. فمن ذا الذى سيأتى بهم إلى الطاعة عوض التمرد، وإلى انفتاح القلب عوض الإنغلاقية؟ هذا فى الواقع هو عمل الله نفسه. لذا أوضح له بالذات : إنها رسالتى وليست رسالتك أن أعمل فى القلب فى الداخل، أخلقه من جديد وأهبه حياة.

هذا ما ينبغى أن يجربه جميع العاملين فى كرم الرب فالقديس بولس الرسول يقول : "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله" (١كو ٤ : ١)، لأنه أدرك أنه وكيل فقط ويعمل باسم موكله. وفى هذا المعنى يقول القديس يوحنا ذهبى الفم إن الوكيل يقوم بإدارة أمور موكله حسناً دون أن ينسب لنفسه ما لسيده، كما قال بطرس الرسول بعد إجراء معجزة إقامة المقعد : "لماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو بتقوانا قد جعلنا هذا يمشى" (أع ٣ :١٢). إن من حباهم الله مواهب ووزنات خاصة للخدمة، سيدانون يقيناً إن لم يحسنوا استعمالها والمتاجرة فيها وخاصة أولئك الذين فى الكهنوت. ومن يدخل عمل التبشير وفيه رغبات مثل هذه (أى حب المديح)، فأية آلام وشدائد تلحقه؟ لقد خاف القديس يوحنا ذهبى الفم على نفسه كبطريرك

للقسطنطينية فقال : "إنى أسكب الدموع عندما أرى نفسى فى كرسى فوق كراسى الآخرين، وعندما يقدم إلىّ احترام أكثر من غيرى".

الشعور بالوكالة يعطى الخادم قوة فلا يهاب العمل مهما كان صعباً أو مهما بدا مستحيلاً، إذ يسمع الصوت الإلهى يشجعه قائلاً : "... أنا مُرسلك إليهم... وهم إن سمعوا وإن امتنعوا لأنهم بيت متمرد فإنهم يعلمون أن نبياً كان بينهم" (حز ٢ : ٥). ولم ينطق النبى بهذا عن جهل إنما لئلا يقول أحد المعاندين أن بنوته ألزمتهم بالعصيان. "أما أنت يا ابن آدم فلا تخف منهم، ومن كلامهم لا تخف لأنهم قريس وسلاء (أشواك) لديك، وأنت ساكن بين العقارب. من كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب لأنهم بيت متمرد" (حز ٢ : ٦).

وقد يعترض البعض لماذا دعاهم الرب هكذا؟ يُجيب عليهم العلامة كليمندس الإسكندرى بقوله : (هذا برهان عظيم جداً على محبته الفائقة، فبالرغم من معرفته تماماً مقدار العار الذى بلغ إليه الشعب حتى طرده واقتلعه من أورشليم، إلا أنه مع ذلك لا يزال يحثه على التوبة).

تحذيره يسرى على النبى أيضاً :

ومع أن الله اختار حزقيال النبى للعمل النبوى وهو يعلم قلبه وجهاده، لكننا نجده يحذره قائلاً : "لا تكن متمرداً كالبيت المتمرد" (حز ٢ : ٨). لقد خشى عليه وهو يكرز للشعب بالطاعة أن يسقط هو معهم فى التمرد بدلاً من أن يقيمهم. وكأن الله أراد أن يؤكد لخادمه ألا ينسى خلاص نفسه وحياته الخاصة أثناء خدمته. لأن كثيرين فقدوا سلامهم وخلاصهم أثناء غيرتهم التبشيرية وتعبهم فى الخدمة. وكان بولس حريصاً جداً على هذا الأمر حتى قال : "أقمع جسدى واستعبده حتى بعد ماكرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً" (١كو٩ :٢٧). وذكر القديس يوحنا ذهبى الفم معبراً عن مشاعره الخاصة فى الخدمة مثل هذا بقوله : (إن كلامى أكثر فائدة لحياتى منه للذين يسمعوننى)، وكذا : (إنى أعرف خطورة هذه الوظيفة وصعوبة عملها والزوابع الشديدة التى تجتاح نفس الكاهن، فإنها أقسى من الزوابع التى للبحر اضطراباً).

التوصية بأكل الكلمة :

كان موضوع عمل النبى وكذا كل خادم هو كلمة الله التى ينبغى عليه أن يأكلها فتشبع أعماقه الداخلية كما قال له الله : "افتح فمك وكُلْ ما أنا معطيك. فنظرت وإذا بيد ممدودة إلىّ وإذا بدرج سفر فيها، فنشره أمامى وهو مكتوب من داخل ومن قفاه وكتب فيه مراثٍ ونحيب (تسبيح) وويل" (حز ٢ : ٨ ـ ١٠). لقد اعتاد القديس يوحنا ذهبى الفم أن يقدم مائدة الكتاب المقدس لشعبه غالباً كل يوم معطياً إهتماماً خاصاً للكلمة الإنجيلية الرسولية، ففى إحدى عظاته يقول : (لقد سمعتم الصوت الرسولى إنه بوق سماوى ! إنه قيثارة الروح. نعم إن قراءة الكتب المقدسة هى روضة. بل، هى فردوس أيضاً مستخرجاً من المناجم الرسولية لا بإلقائه فى فرن بل بإيداعه فى أذهان نفوسكم، ولا بإشعال نار أرضية بلْ بإلهاب الروح فيكم. فلنجمع منه أجزاء صغيرة بجد واجتهاد فإن اللآلئ لا تُقدر حسب حجمها بل بجمال طبيعتها).

لقد تسلم النبى كتاباً مكتوباً من الخارج ومن الداخل. وربما يعنى هذا أن كلمة الله معلنة من الخارج بالحروف على الورق ولكنها تحتاج

إلى عمل الروح التى يعلنها للقلب فى الداخل، أما موضوع هذه الكتابة "فهو مراثٍ وتسبحة وويل (حسب الترجمة السبعينية).

وتعليق العلامة أوريجانوس على ذلك هو أن : [الكتاب كله مملوء ويلات على الهالكين، وتسبحة للمخلّصين، وميراثٍ على الذين بين الاثنين (أى من هم فى طريق التوبة)].

أما القديس أمبروسيوس فيرى أنه قد : (جاء فيه أمران محزنان وواحد مفرح، فإن من يبكى فى هذا الزمان كثيراً، يخلص فى المستقبل كما يقول الرب نفسه : "طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون : (٦ : ٢١).

ويرى القديس چيروم فى معنى هذه الكلمات إنه قد : (كتب فيه مراثٍ وتسبحة وويل، وأولى هذه الثلث تخصك إن كنت كخاطئ تتوب عن خطاياك، والثانية تخص القديسين الذين يُدعون للترنيم مسبحين الله، لأن التسبيح لا يكون فى فم الخطاة، والثالثة تخص الذين يتولاهم اليأس وقد أسلموا أنفسهم للنجاسة والشهوات الدنيئة، الذين يظنون أن الموت هو نهاية كل شئ وأنه ليس بعده شئ آخر، الذين يقولون "السوط

الجارف إذا عبر لا يأتينا" (إش ٢٨ : ١٥). والكتاب الذى أكله النبى هو كل مجموعة الأسفار المقدسة التى تجعل التائب ينتحب والبار يمجد واليأس يدان بالويل.

قد جعلتك رقيباً :

بعد ما تناول حزقيال النبى كلمة الله كدرج مفتوح وقرأ ما بداخله وما بخارجه وجده في فمه كالعسل حلاوة ! حقاً إن وصية الله ثقيلة على الإنسان الطبيعى ويعتبرها البعض قيوداً على حريتهم الطبيعية، ولكن متى امتدت يد الله لتقدمها لنا فى داخلنا نجدها حلوة كالعسل. وليست هذه اليد الممدودة التى رآها حزقيال إلا ابن الله الذى يدعى "ذراع الرب"، وقد صارت منظورة بالتجسد الإلهى، وصارت هينة من أجل محبته، لأنه بالحب يصير الألم عذباً والصليب مجداً والوصية حلوة كالعسل.

كلمة الله أيضاً تحمل إنذرات ضد الساقطين لكى يتوبوا. وهى التى تجعل خادم الكلمة فى موقف حرج بل ويتعرض للمتاعب والضيقات، ولكنها تقدم له فى نفس الوقت عذوبة وفرحاً حينما يدرك مقاصد الله

الخلاصية التى فيها. كانت إرسالية حزقيال صعبة للغاية : "لأن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب" (حز ٣ : ٧). هذا هو فعل الخطية فى الإنسان فإنها تجعل القلب قاسياً متحجراً والجبهة صلبة حتى لا يريد صاحبها أن يسمع صوت الله بل يقاومه بعنف وقحة. ولكن الله يهب خدامه قوة إذ يقول : "قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصوان فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم لأنهم بيت متمرد" (حز ٣ : ٩). ومهما كان الشر عنيفاً لكنه لا يقدر أن يثبت إلى النهاية فإن الخير يحطمه، كما يبدد النور الظلمة، والحق الباطل، وملكوت الله يبقى إلى الأبد أما مملكة إبليس فإلى زوال.

ولما قبل حزقيال كلمة الله سمع خلفه "صوت رعد عظيم" (حز ٣ : ١٢). تلك هى العوامل السماوية الخفية التى تحركت داخل قلبه ترعد لتحطم الشر الذى قسّى قلوب الخطاة. لقد سمع صوت أجنحة المخلوقات الحية المتلاصقة وكأن الخليقة السماوية التى تعمل معاً بروح واحد تسندنا أيضاً بصلواتها عنا. أما صوت البكرات فهو سلطان كلمة الإنجيل التى تأسر القلوب وتجتذبها. ومع كل هذه المعونات العلوية كان

قلبه مُراً من أجل النفوس المحطمة كما عبّر هو نفسه بقوله "فحملنى الروح وأخذنى فذهبت مُراً فى حرارة روحى ويد الرب كانت شديدة عليّ" (حز ٣ : ١٤). وكأنما لسان حاله كان يردد مع المرتل : "الكآبة ملكتنى من أجل الخطاة الذين حادوا عن وصاياك" .

ظل حزقيال النبى وسط المأسورين سبعة أيام فى حيرة. لا يعرف ماذا يفعل، فكان صوت الرب له : "يا ابن آدم قد جعلتك رقيباً" (حز ٣ : ١٧). وكان هناك أمران ضروريان لازمان لإقامة الرقيب : أن يأكل كلمة الله وأن يعيش سبعة أيام وسط شعبه. أما رقم سبعة فيشير إلى الكمال أو أيام الأسبوع كلها. فالرقيب ليس موظفاً يؤدى عملاً بالأجرة ويعمل إلى حين ثم يستريح إلى حين، لكنه إنسان محب حقاً يلقى بنفسه وسط شعبه كل أيام حياته ولا يعطى راحة لنفسه. هذه هى سمات الرقيب الروحى : إنه يعمل وسط شعبه كخادم لهم يحمل عارهم ولا يطلب ما لنفسه بل ما هو لراحتهم.

أما دعوته رقيباً فعلامة على وجود حرب روحية، فهو فى خدمته يغسل أقدامهم ويحارب الشيطان وجنوده. وكانت وصية الله له : "اسمع

الكلمة من فمى وأنذرهم من قِبلى" (حز ٣ : ١٧). فينبغى عليه كرقيب أن يحمل روح التمييز والإفراز خلال حفظه كلمة الرب وشركته مع الله، فلا ينذر من عندياته بل يسمعه من فم الله، ولا يتكلم باسم نفسه بل باسم الله (أى من قِبلى)، بهذا يستطيع أن ينذر بكل قوة وبلا خوف ولا مجاملة ولا مداهنة لئلا تهلك النفوس ويُطلب منه دمها.

لقد أوضح الله لخادمه مدى مسئوليته عن هلاك كل نفس لا يحذرها، فإنه يعتبر متهاوناً معها، الأمر الذى أرعب خدام الله عبر العصور، لهذا حينما شعر القديس أمبروسيوس بخطأ أرتكبه الإمبراطور ثيؤذوسيوس أسرع بالكتابة إليه يحذره قائلاً : (أستطيع أن أصمت؟! حاشا لأن ضميرى حينئذ يصير مقيداً ونطقى ينزع عنى، وأصير فى أبس حال يمكن أن أكون عليه...! إن كان الكاهن لا يتكلم مع من أخطأ... يموت الخاطئ فى خطيته، ويخضع الكاهن نفسه للعقوبة لأنه لم يحذر من الخطأ).

ومرة أخرى يكتب إليه هكذا : (أتوسل إليك أن تصغى إلى ما أقول

بطول الأناة. فلو إننى لا أستحق أن تسمع لى أكون أنا أيضاً غير مستحق أن أقدم تقدمات عنك، أنت الذى وثقت فىّ بنذورك وصلواتك... ليس من واجب الإمبراطور أن يقيد حرية الكلام، ولا من واجب الكاهن ألا ينطق بما يفكر فيه).

كما أن القديس يوحنا ذهبى الفم يقدم لنا مثالاً رائعاً لإهتمام الرقيب لا بالجماعة ككل، بل بكل نفس كما لو كانت هى الجماعة كلها إذ يقول : (كل واحد منكم، فى عينى، يساوى المدينة كلها)، وفى موضع آخر يقول : (لا يقل لى أحد إن كثيرين قد نفذوا الوصية، فإننى لا أبتغى هذا، بل أريد أن الجميع يفعلون هكذا. فإننى لا أستطيع أن ألتقط أنفاسى حتى أرى ذلك قد تحقق! فإنه إن كان واحد قد ارتكب الزنا بين أهل كورنثوس فبولس كان يتنهد كما لو أن المدينة كلها قد هلكت).

للصمت وقت وللكلام وقت :

تسلم حزقيال مسئوليته كرقيب وأمره الرب ألا يتسرع بالبدء فى

العمل بل يخرج إلى البقعة ليتكلم معه (حز ٣ : ٢٢)، وهناك أراه مجده السماوى مرة أخرى كما رأى عند نهر خابور. فإن نجاح الرسالة يقتضى فترات خلوة مع الله ليرتفع قلبه إلى الأمجاد الإلهية فيقدم للشعب فى حياته (قوة الحياة السماوية).

إن الخروج إلى البقعة لمعاينة مجد الرب أمر ضرورى لكل من يخدم الرب، لهذا أقام بولس ثلاث سنوات فى البرية كيما يتهيأ للعمل الرسولى. ويتحدث القديس أوغسطينوس عن ضرورة توافق حياة الخلوة والعمل بقوله : (الذين قد أُنيط بهم أعمال الخير ورعاية النفوس ملزمون أن يحملا للناس شهادة عن الحياة الأخرى يختبرونها عن طريق التأمل، لذا يجب أن يتفرغوا لدراسة الحق وتأمله كما أنه ليس من الأصناف أن تكون حياة التأمل سبباً فى إعاقة إنسان جدير بأن يقوم بالمهام الكنسية).

تكررت الرؤيا وتكرر سقوط حزقيال النبى على وجهه وأيضاً دخله الروح الإلهى ليقيمه وليسمع هذه الرسالة : "اذهب أغلق على نفسك

فى وسط بيتك... وألصق لسانك بحنكك فتبكم، ولا تكون لهم رجلاً موبخاً لأنهم بيت متمرد. فإذا كلمتك أفتح فمك وتقول لهم هكذا قال السيد الرب" (حز ٣ : ٢٤ ـ ٢٧). هكذا منعه الرب من الإندفاع السريع فى العمل وأمره بألا يتكلم حتى يأذن له بالكلام. فهو إن كان كرقيب فى صمته على الشر يدان، لكنه ينبغى أن يتعلم ما قاله الحكيم : "للسكوت وقت وللتكلم وقت" (جا ٣ : ٧). وكما يقول القديس أمبروسيوس : (زن حديثك وقس كلماتك). وأيضاً : (إن الرجل الحكيم يأخذ فى إعتباره ماذا يتكلم ومن الذى يكلمه). كما يقول : (إنه لابد أن يكون الراعى حكيماً فى صمته، نافعاً فى كلامه).

الفصل الثالث

اللبنة المرسومة ونوم النبي

بدأ الحديث الإلهي مع حزقيال النبي بأن طلب منه التنبؤ وإنذار الشعب ولكن عن طريق التمثيل والرموز وذلك لعجز اللغة البشرية عن التعبير وتوصيل الرسالة إليهم.

لقد أمره الرب أن يرسم على لبنة (أي لوحة من الملاط) مدينة محاصرة بالجيوش، ويقيم في مقابلها برجاً ومجانق (وهذه وسائل حربية لهدم الأسوار)، معلناً بها أن حصار أورشليم قادم بسماح من الله للتأديب.

ونذكر أنه لما شعرت صهيون مرة أن الرب قد تركها ونسيها، وجدته بقربها يؤكد لها: "هوذا على كفَّي نقشتكِ" (إش ٤٩ : ١٦). ولكنها هنا تصرُّ على خطيئتها وتمسكها بالأمور الزائلة، لذا طلب الله من حزقيال أن يرسمها على لبنة من الطين بدلاً من كونها منقوشة على كف الرب. إنه يتمشى مع غواية قلبها، لهذا كثيراً ما يردد هذه العبارة:

"أجلب عليكِ طرقكِ" (حز ٧ : ٤). لقد اشتهت الأرضيات فجعل صورتها منقوشة في الطين! بعد أن كانت منقوشة ضمن أسباط إسرائيل على الحجارة الكريمة وموضوعة على صدرة رئيس الكهنة ويدخل بها إلى قدس الأقداس. وصارت محاطة بوسائل التدمير التي تهدد أمنها عوض أن رآها يوماً ما "مرهبة كجيش بألوية" (نش ٦ : ٤)، بل إنه أمر بإقامة سور من حديد حول المدينة (حز ٤ : ٣) لا ليحميها وإنما لكي لا يهرب أحد مما سيحل بها من تأديبات.

ومما يلفت النظر أنه وسط هذه الخبرة المؤلمة يطلب الله من النبي أمرين

أولاً: أن يثبِّت وجهه على المدينة طويلاً، إشارة لرعاية الله لها حتى إبان ظروف التأديب (حز ٤ : ٣، ٧)، لأن هذه هي الضيقات التي ينبغي على أولاد الله أن يجتازوها، ولكنه يعدهم معها بالمنفذ للخلاص منها. وفي هذا يقول القديس **يوحنا ذهبي الفم**: (إذا أخطأنا ينهض الله علينا أعداءنا لتأديبنا، لهذا يجدر بنا ألا نحاربهم بل أن نحاسب أنفسنا ونهذبها، لنقبل الآلام كقبول الأدوية من الطبيب لأجل خلاصنا،

وكقبول التأديب من الأب لأجل منفعتنا، ويشجعنا الحكيم ابن سيراخ على ذلك بقوله: "يا ابني إذا تقدمت لخدمة الرب فاعدد نفسك للتجربة واصبر لها" (سي ٢ : ١)، هذه هى الآلام التي ندعوها "مدرسة الحكمة").

وثانياً: أن يجعل ذراعه مكشوفة وهو يتنبأ عليها (حز ٤ : ٣)، وهذه إشارة إلى التجسد الإلهي إذ يرى الآباء أن "ذراع الرب" تعبير عن الابن. وكأن أورشليم ستبقى تحت الحصار وفي أسر الخطيئة وتعاني من ربقتها حتى تستعلن ذراع الرب كقول الرسول: "فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا" (١يو ١ : ٢). فالله غير المرئى صار لنا بالتجسد مستعلناً "وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو ١ : ١٤). مثل هذا الحصار حدث أيضاً حول قلبنا ـ أورشليم الداخلية فينا ـ وتدنس هيكلنا وبلغ إلى موت الخطية حتى شمّر الآب عن ذراعه، أي أرسل ابنه الوحيد وحرّرنا وردّنا إلى الخلاص. هذا هو عين ما رآه إشعياء النبي بروح النبوة؛ حينما بشّر أورشليم المسبيّة بالخطية والتي أُخذت في

غفلة الموت بل ودُفنت في التراب وتحطمت تماماً، فناداها قائلاً: "استيقظي استيقظي البسي ثياب عزكِ يا صهيون، البسي ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة، انتفضي من التراب قومي اجلسي يا أورشليم، انحلّي من رُبُط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون،... ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك... اشيدي ترنمي معاً يا خِرَب أورشليم، لأن الرب قد عزّى شعبه فدى أورشليم. قد شمّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا" (إش ٥٢).

وسر هذه اليقظة والانتفاضة والتحرر هو أن الآب قد شمر عن ذراعه أمام عيون الأمم، أي أن الرب قد تجسد ليضم إليه جماعات الشعوب لتنعم بخلاصه. والتعبير "شمر الرب عن ذراعه المقدسة" يشير إلى الاستعداد للضرب؛ ويقيناً لا يقصد الرب ضرب شعبه وإنما ضرب أعدائه وغلبة الخطية التي حطمت شعبه؛ فالمسيح الرب قد أتى لا ليدين الإنسان بل ليخلصه، لقد دان الخطية التي سقطنا فيها في جسده.

النوم على جنب واحد:

بدأ الرب يوضح بعد ذلك عواقب الخطية وما تجره على الإنسان، إذ تلقيه أرضاً، وتجعله طريح الفراش في حالة من السبات ونوم الغفلة بلا حيوية ولا عمل، وينام على جنب واحد كمن هو مصاب بالفالج أي الشلل.

لقد طلب الرب من حزقيال أن ينام على جنبه الأيسر مدة ٣٩٠ يوماً، ثم يعود فينام على جنبه الأيمن مدة ٤٠ يوماً. وبالفترة الأولى يشير إلى إثم بيت إسرائيل، وبالفترة الثانية إلى إثم بيت يهوذا. الوضع الأول يشير إلى وقوع الإنسان تحت تأثير الضربات اليسارية أي الخطايا الظاهرة، كالزنا والقتل والسرقة والكذب وما إليها؛ أما الوضع الثاني فيشير إلى وقوعه تحت تأثير الضربات اليمينية أي الخطايا المستترة، مثل البر الذاتي والأنانية ومحبة الكرامة والمديح. وكان الأمر بالنوم على الجانب الأيسر مدة أطول مما على الجانب الأيمن لأن خطايا شعب إسرائيل قد طال أمدها فعلاً، أما شعب يهوذا فبالرغم من تأخره في ارتكابها إلا أنه في زمن قصير قد أكمل شره. ومن المقرر أن الإنسان

بإصابته بالضربات اليمينية يسقط سريعاً ويكمل شرّه في أمد قصير، الأمر الذي جعل آباء البرية يحذرون أبناءهم الرهبان من الضربات اليمينية أكثر مما من اليسارية، لأن الأخيرة واضحة ويسهل التوبة عنها أما الأولى فغالباً مما تكون خفية يسهل تسللها إلى القلب والسيطرة عليه وإفساده.

والأمر الصادر للنبي نسب الجنب الأيسر لإسرائيل والجنب الأيمن ليهوذا، لأننا حينما نتجه بأنظارنا نحو الشرق يكون إتجاه الشمال الجغرافي حيث توجد مملكة إسرائيل عن يسارنا، ويكون الجنوب الجغرافي حيث توجد مملكة يهوذا عن يميننا، وهكذا يرمز للأولى بالجنب اليسار وللثانية بالجنب اليمين.

أما عن حكمة تحديد مدة النوم على جنبه الأيسر بـ ٣٩٠ يوماً فقد قيلت فيها آراء كثيرة من اجتهادات المفسرين وتدور جميعها حول اعتبارها رمزاً لسنوات العبودية التي عاشتها الأمة اليهودية في أرض

مصر، من ناحية، وكذا حالة الخطية التي سادت حياتنا كلها في كل زمان غربتنا على الأرض (١).

الأكل بالوزن والشرب بالكيل:

وأمر الله حزقيال قائلاً: "طعامك الذي تأكله يكون بالوزن... وتشرب الماء بالكيل..." (حز ٤ : ١٠، ١١) وذلك علامة على المجاعة التي كانت عتيدة أن تحل بالشعب من أجل تأديبه وهذا للتذكير بعواقب الخطية الوخيمة على الإنسان إذ تصيب نفسه بالجوع مع الغم والعطش مع الحيرة. لقد حدد له عشرين شاقلاً من الخبز كل يوم وسدس الهين من الماء. أما الخبز فمن أردأ الأصناف التي تقدم للخيل والخنازير وهو خليط من القمح والشعير والفول والعدس والدُخْن (أي الذرة الرفيعة)

(١) من الآراء التي قيلت في تفسير هذين الرقمين أن مجموعهما معاً وهو ٤٣٠ يمثل مدة عبوديّة الشعب قبل إعطاء الناموس (غل ٣ : ١٧)، كما أن رقم ٣٩٠ (أي ٣٩ × ١٠) تشير إلى الجلدات الـ٣٩ التي يزمع أن يحتملها المسيح كعقاب على خطايانا مضروبة في عدد أسباط إسرائيل وهو عشرة أي أنهم استحقوا الجلد جميعاً. والأربعين يوماً تذكرنا بمدة صوم كل من موسى وإيليا والمسيح لتوحي لنا أننا يجب أن نصوم عن الشر كل أيام زماننا على الأرض. ورأى البعض أن رقم ٣٩٠ إنما يرمز لعدد السنين التي عبرت منذ تقسيم المملكة أيام سليمان (١مل ١٢ : ١٩)، حتى حصار أورشليم، أما رقم ٤٠ فيرمز إلى أزمنة تجارب طوفان نوح ورحلة الشعب في البرية وتجربة المسيح على الجبل.

والكِرْسنّة (وهي بذار برية مثل القمح)، يأكله أثناء نومه على جنب واحد. كما طلب منه أن يخبزه على الخرء الذي يخرج من الإنسان عوض الحطب إشارة إلى ما بلغه الشعب من دنس ونجاسة، ولما توسل إليه النبي أن يعفيه من هذا الأمر سمح له أن يخبزه على روث الحيوانات بدلاً من خرء الإنسان (كما هو متبع حتى الآن أحياناً في الريف بدلاً من الحطب)، وهذا رمز إلى ما وصل إليه الشعب من بؤس وفاقة.

حلق شعره:

ويتابع الله إعلاناته لحزقيال عن طريق الرموز، وتدور أيضاً حول محاصرة أورشليم وتأديبها؛ فيأمر النبي بحلق شعر رأسه ولحيته، موضحاً له سر هذه العقوبة لمملكة يهوذا وعلاماتها، فهو يقول له: "وأنت يا ابن آدم فخذ لنفسك سكيناً حاداً موسى الحلاق تأخذ لنفسك وأمررها على رأسك وعلى لحيتك وخذ لنفسك ميزاناً للوزن واقسمه وأحرق بالنار ثلثه في وسط المدينة، إذا تمت أيام الحصار، وخذ ثلثاً واضربه بالسيف حواليه وذرِّ ثلثاً إلى الريح" (حز ٥ : ١ ، ٢).

صدر هذا الأمر للنبي بالرغم من أن شريعة موسى أوصت الكهنة

بني هرون قديماً "لا يجعلوا قَرعَةً في رؤوسهم ولا يحلقوا عوارض لحاهم... (بل) مقدَّسين يكونون لإلهِهم" (لا ٢١ : ٥و٦)، لأن ترك الشعر على رأس المرأة هو لزينتها أما الرجل فعلامة عدم انشغاله بالأمور الزمنية وتكريس كل حياته للخدمة الكهنوتية. فهذا الأمر كان إعلاناً عن تدنيس الكهنة في ذلك الوقت ورفض الرب لذبائحهم وتقدماتهم وصلواتهم.

ونعلم من قصة شمشون الجبار الذي كان نذيراً من البطن ولم يعلُ موسى رأسه وبدأ يخلص إسرائيل من الفلسطينيين، إنه لما حلق شعر رأسه فارقته قوة الرب وصار ضعيفاً (قض ١٦ : ١٧)، بل وفارقه الرب نفسه وفقد عينيه وأُوثِقَ بسلاسل من النحاس وصار يطحن في بيت السجن وكان هُزءاً وسخرية للوثنيين. أما هنا فالله نفسه هو الذي يأمر حزقيال بحلق شعر رأسه ولحيته مشيراً بذلك إلى مفارقته لكهنة شعبه وفقدانهم البصيرة الروحية ودخولهم الأسر وصيرورتهم أضحوكة الأمم وموضوع سخريتهم.

وحلق الشعر بالكامل يشير إلى رفض الله الدخول معهم في أي

علاقة مودة عن طريق الكهنة أو الأنبياء، إنه لا يقبل تقدمة ولا يسمع لصلاة حتى يؤدبهم على شرهم، كما يشير إلى رفضه شعبه بسبب إصرارهم على الخطية. فإن كان الرب هو الرأس فإن حياتنا نحن إنما هي أن نثبت فيه، فنزعُ الشعر هو نزعٌ لثبوت الشعب في مصدر حياته. في هذا يقول القديس چيروم: (إن إشعياء تحدث عن موسى حاد يحلق رأس الخطاة وشعر أقدامهم (إش ٧ : ٢٠) أما الأمر بحلق حزقيال فيرمز إلى أن أورشليم صارت زانية (حز ٥ : ١ - ٥) وإن كل من فيها صار بلا إحساس ونزعت عنه الحياة).

وحلق الشعر أيضاً علامة العار والذل والعبودية، فيصير الإنسان بلا كرامة ولا سلطان له حتى على شعره أن يتركه أو يحلقه، لذا كان العبيد وكذا المسجونون تحلق رؤوسهم بالكامل، وحتى الملوك حينما كانوا يؤخذون أسرى. هكذا تفعل الخطية بالإنسان إذ تفقده كل سلطان وترده من حالة الملوكية والقوة إلى خزي العبودية والسقوط تحت الأسر والذل، وفي ذلك إشارة إلى أن سكان أورشليم كانوا عتيدين أن يؤخذوا أسرى في بابل (٢صم ١٠ : ١ - ٥). لقد خجل عبيد داود

من اللقاء مع ملكهم لأن حانون ملك عمون شك فيهم وحلق لحاهم، وهكذا لا يستطيع الإنسان أن يلتقي مع الرب ملكه السماوي وهو في عار الخطية وخزيها، بل ينتظر حتى يعلن توبته وينال المغفرة ويسترد كرامته فيستطيع مقابلة الله وكل جنوده السمائيين.

أما وزن الشّعر فعلامة على أن ما يحل بالشعب من جوع وعطش وسقوط بالسيف وتشتيت بين الشعوب، لا يتم بطريقة عشوائية أو بمحض الصدفة لكنه بتدبير إلهي؛ وموازين الرب عادلة وأمينة ودقيقة.

سبب عقوبة أورشليم وحدودها:

إن الله يؤدب أولاده كأب حنون ويوضح لهم سبب عقوبتهم، فهو ليس بالسيد المستبد المنتقم بل يودُّ دائماً رجوعنا وتوبتنا، لهذا يكشف لنا ضعفاتنا حتى نتخلى عنها.

أمران يحزنان قلب الله: الوصية المكسورة، والهيكل المدنَّس. فنحن نقرأ: "فخالفت أورشليم أحكامي بأشر من الأمم... لأن أحكامي رفضوها وفرائضي لم يسلكوا فيها" (حز ٥ : ٦)، و "من أجل أنك قد نجَّست مقدسي... فأنا أيضاً أجزُّ (بالموسى) ولا تُشفقُ عيني" (حز ٥ : ١١).

وهكذا يلفت نظرنا إلى أن المؤمن حينما يسقط في العصيان يصير أشر من غير المؤمن؛ ونحن لن نستطيع أن نقف أمام الله ونقدم له العبادة (في الهيكل) إلا بالسلوك في طاعة وصاياه. فتنفيذ الوصية والعبادة أمران متلازمان، وإلا فنحن نخدع أنفسنا إن قصّرنا في أيٍّ منهما.

والله يطيل أناته علينا ويتدرج معنا بوسائل متعددة حتى نرجع إليه، فهو قد قال لإرميا مثلاً: "اذهب ونادِ في أذنَيْ أورشليم" (إر ٢ : ١)، وإذ لم تستجب طلب منه أن ينادي بكلمة التوبيخ (إر ٧ : ١)، وإذ لم تسمع أيضاً اضطر أن يعلن تأديباته علانية أمام كل الأمم. وهكذا مع حزقيال أيضاً، لقد أخطأوا علانية بغير حياء وحاول إصلاحهم دون أن يجرح مشاعرهم، لكن أمام تشامخهم المتزايد قال: "سأُجري في وسطكِ أحكاماً أمام عيون الأمم" (حز ٥ : ٨) و "أجعلكِ خراباً وعاراً وتأديباً ودَهْشاً للأمم التي حواليك" (حز ٥ : ١٤، ١٥).

لقد تباروا في الشر وسبقوا الأمم، لهذا يؤدبهم الله بتأديبات فريدة: "وأفعل بكِ ما لم أفعل وما لن أفعل مثله بعد بسبب كل أرجاسكِ" (حز ٥ : ٩). وهذه هي أمَرّ عقوبة يسقط تحتها المؤمنون أن يأكل

أحدهم الآخر، لا بل الأب ابنه والابن أباه! (حز ٥ : ٩). لأنه إذا تخلت عنهم النعمة يدب فيهم الفساد حتى يفنوا بعضهم بعضاً ويصيرون كالهباء أمام الريح.

«أنا الرب تكلمتُ»:

لقد أكد الرب ليهوذا أن التأديب العلني الفريد ليس صادراً عن النبي، فهو ليس بمتكلمٍ ضده ولكنه صادر عن الله نفسه: "أنا الرب تكلمتُ" (حز ٥ : ١٥). فإن كان الكلدانيون يحاربونك ويأسرون شعبك فليسوا في واقع الأمر إلا أداة في يد الله الذي يغار على شعبه فيثير ضدهم الأمم لتأديبهم، لهذا يؤكد: "ها إني أنا أيضاً عليكِ" (حز ٥ : ٨) مكرراً العبارة "أنا الرب تكلمتُ" وما شابهها ١٤ مرة في هذا السفر. المؤمن الحقيقي الذي يريد أن يتقدم في طريق التوبة وملامة الذات بروح الندم على ما فات، يقبل كل ما يأتي عليه من الناس على أنه من يد الله نفسه. ومثالنا في ذلك داود النبي حينما قام عليه ابنه أبشالوم وهرب أمامه، خرج عليه شمعي بن جيرا يسبُّ ويرشق بالحجارة داود وجميع عبيد الملك والشعب والجبابرة المحيطين به، فقال أبيشاي للملك: "لماذا

يسبُّ هذا الكلب الميت سيدي الملك دعني أعبر فأقطع رأسه" (٢صم ١٦ : ٩)، أما داود ففي حكمة واتضاع قال: "دعوه يسبُّ لأن الرب قال له سبَّ داود، ومن يقول لماذا تفعل هكذا... لعل الرب ينظر إلى مذلتي ويكافئني الرب خيراً عوض مسبَّته بهذا اليوم". لذا يرى القديس **يوحنا ذهبي الفم** في مكائد الآخرين ضدنا فرصة للتوبة كما ذكرنا عنه سابقاً. وهكذا يتدرج معنا الله في طول أناته ومحبته من الحديث السري إلى الحديث العلني حتى يضطر إلى التأديب العلني وهنا أيضاً يؤدب على مراحل لعل الخطاة يتوبون فينزع عنهم الألم. إنه يسمح لهم بالجوع حتى يصيروا في عوز للخبز ثم يهيج عليهم وحوش البرية لتأكل أولادهم بالوباء وسفك الدماء. إنه لا يطلب النقمة بل التوبة وبأي طريق.

الفصل الرابع

«أحكُم عليك كطُرُقك»

نبوة على جبال إسرائيل:

أخذ اليهود عن الوثنيين عبادتهم للأصنام على الجبال والتلال والأنهار والوديان، لهذا طلب الرب من حزقيال النبي أن يوجه نظره إلى جبال إسرائيل التي تدنست بالعبادة الوثنية ويتنبأ عليها، إنه يتطلع كالقاضي الذي ينظر نحو المتهم ليحكم عليه مواجهة ليهز أساساته ويبيدها.

والجبال لها مدلولها الخاص في لغة الكتاب المقدس، فإن كانت الأرض تشير غالباً إلى النفس التي نزلت إلى الفكر الأرضي فأسرها الجسد الترابي بشهواته وربطها بالماديات، فالجبال تشير عادة إلى النفوس التي تسمو عن الأرضيات لتسكن مع الله في السماويات، ككنيسة مقدسة أمينة له. لهذا كثيراً ما ينسب الله الجبل لنفسه فيدعوه "جبل قدسه" (مز ٢ : ٦)، واشتهى داود المرتل أن يسكن في جبل قدس الرب (مز ١٥ : ١).

النفس التي تصير جبلاً مقدساً تصير كجبل حوريب حيث يتراءى لها الرب لا ليعطيها شريعته منقوشة على ألواح حجرية كموسى قديماً، بل ليحل فيها بالإيمان بشخصه وينقش وصاياه في قلبها بروحه ويجعلها تشاركه في أحداث حياته التي جازها على جبال التجربة والتجلي والجلجثة لتتمتع بأمجاد الإتحاد به والقيامة معه.

ويرى القديس چيروم أن هذه الجبال المقدسة إنما تشير إلى الأنبياء والرسل إذ يقول: (نفسر الجبال بطريقتين: فهي تعني في العهد القديم الأنبياء وفي العهد الجديد الرسل. وعن هذه الجبال يقول الكتاب المقدس: "رفعتُ عينّي إلى الجبال من حيث يأتي عوني" (مز ١٢١ : ١)، وعلى هذه الجبال استقرت مدينة الله إذ "لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل" (مت ٥ : ١٤). ونحن أيضاً الذين كنا في الظلمة وظلال الموت أشرق علينا الرب من جباله الأبدية أي خلال أنبيائه ورسله).

وكما يقيم السيد الرب أولاده جبالاً مقدسة يسكن فيها، فإن عدو الخير أيضاً يقيم من أتباعه جبالاً دنسة ومعثرة. فإن كان الجبل المقدس

يعني ارتفاع النفس إلى السماويات بالروح القدس، فالجبل الشرير يعني كبرياء النفس وعصيانها للوصية الإلهية. فبدلاً من أن تكون النفس جبلاً ينطلق إليه السيد ليصلي (مر ٦ : ٤٦) و "يسكن فيه إلى الأبد" (مز ٦٨ : ١٦)، تصير دنسة ترعى فيها الخنازير (لو ٨: ٣٢)، والرب يهدد هذه الجبال قائلاً: "هأنذا عليك أيها الجبل المُهلك يقول الرب المُهلك كل الأرض فأمدّ يدي عليك وأدحرجك عن الصخور وأجعلك جبلاً محرقاً فلا يأخذون منك حجراً لزاوية ولا حجراً لأسس بل تكون خراباً إلى الأبد يقول الرب" (إر ٥١ : ٢٥و٢٦). كما يقول: "أبغضت عيسو وجعلت جباله خراباً وميراثه لذئاب البرية" (ملا ١ : ٣).

لقد انحرف الشعب إلى العبادة الوثنية لذا هددهم الرب على لسان النبي بحلول الشر في كل موضع استخدم للشر سواء كان جبلاً أو تلاً، وادياً أو نهراً: "هكذا قال السيد الرب للجبال وللآكام للأودية وللأوطئة هأنذا أنا جالب عليكم سيفاً وأبيد مرتفعاتكم فتخرب مذابحكم وتتكسر

شمساتكم" (١) (حز ٦: ٣و٤). إن السيف يمتد إلى صانعي الشر فيقتلهم وتُمحى أعمالهم وتصير مدنهم خراباً وقفراً، وتُذرى عظامهم حول مذابحهم علامةً لتدنيسها.

هذه هي النبوة التي وُجِهَت ضد جبال إسرائيل، وهي تهديد مرٌ لعلّه ينبه نفوسهم ويدفعهم للتوبة، إنه موجّهٌ أيضاً في كل جيل وإلى كل نفس متعجرفة، لأن الله يبيد مرتفعاتها (٢) أي يحطم كبرياء قلبها وتشامخها، ويخرب مذابحها أي يحطم عواطفها التي أساءت استخدامها، ويفضحها في وسط النهار تحت الشمس ولا يعود يستر عليها ويذلها أمام الذين ترتكب معهم الخطية. وتذرية العظام حول المذبح إعلان عن موتها الروحي والنفسي بل والجسدي وعن دنس حياتها فيأنف الكل منها. هذا التأديب في الواقع هو الثمر الطبيعي للخطيئة في حياة الإنسان إذ تقتله وتقتل طاقاته الداخلية وتحطم فيه كل إمكانية.

(١) وردت كلمة الأوطئة في السبعينية "الغابات" وربما يقصد بالشمسات تماثيل عبادة الشمس.

(٢) بما أن اليهود أقاموا أغلب المعابد الوثنية على المرتفعات لهذا صار تعبير المرتفعات يشير إلى الهياكل الوثنية بصفة عامة.

قبول البقية التائبة:

ولكن في كل مرة يهدد النبي الجماعة أو الشعب كله لا ينسى التأكيد على إهتمامه بالبقية التائبة الراجعة إليه بالرغم من قلة عددهم، هؤلاء الذين يخلصون من العقوبة لا بقبولهم التأديب أى السبي وإنما بتوبتهم عن خطاياهم، فيقول: "إذا كسرت قلبهم الزاني الذي حاد عني وعيونهم الزانية وراء أصنامهم، ومقتوا أنفسهم لأجل الشرور التي فعلوها في كل رجاستهم" (حز ٦ : ٩). إنهم أخطأوا كإخوتهم وسقطوا في الزنا وعبادة الأصنام ولكنهم قبلوا التأديب من الرب بحكمة فانكسر قلبهم بالتوبة وندموا فلم يطيقوا أنفسهم بسبب ما فعلوه، لهذا يعود الرب إليهم ويخلصهم "ويعلمون أني أنا الرب" (حز ٦ : ١٠)، أي يهبهم معرفته الإلهية. لهذا يقول القديس **مرقس الناسك**: (إن الله لا يديننا لأننا أخطأنا لكنه يديننا لأننا لم نَتُبْ إليه).

لقد أمر الرب النبي أن يصفق بيديه ويضرب الأرض برجليه كالطفل المتمرمر الذي لا حول له ولا قوة متأوهاً على كل رجاساتهم وخاصة أن ثمر الشر يحل بهم من قتل بالسيف وجوع ووباء، بل إن الغضب

الإلهي أهاج الناس عليهم وأعلنت الأرض سخطها وأيضاً كل الطبيعة، وسيكون التأديب أكثر شدة حيث المواضع المستخدمة للعبادة الوثنية مثل رؤوس الجبال وتحت ظلال الأشجار وخاصة البلوطة... حيث كانوا يقربون "رائحة سرورهم لكل أصنامهم" (ع١٣)، فصارت رائحة موت لهم.

لقد أعلن أن الخراب يدب في الأرض من القفر (البرية) إلى دبلة، ويرى البعض إنها بلدة في موضع دبل الحديثة شمال الجليل، لكن الرأي السائد إنها ربلة (٣) وهي مدينة في أرض حماة، وكأنه بقوله: "من القفر إلى دبلة" يعني من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال. وربما أراد أن يعلن مرارة ما يحدث لهم في شخص ملكهم، فعندما أُلقِيَ القبض على صدقيا بعد هربه من أورشليم أتى به إلى نبوخذ نصر الذي كان في ربلة فقلع عينيه وقيده في سلاسل ليرسله إلى بابل (٢مل ٢٥ : ٦ ... إلخ).

---

(٣) دبلة كلمة عبرية معناها "حلقة مستديرة أو كعكة"، وربلة اسم سامي معناه جمهور أو كثرة".

النهاية على الأبواب:

بعدما أورد الرب تهديده بالعقاب المرّ لشعب إسرائيل بدأ يؤكد لهم أن النهاية قد اقتربت لأن الإنسان عادة يستغل طول أناة الله ويتصور أن هذا التأديب لن يأتي عليه ويستغرق في إهتماماته العالمية أو ينساق في عبادته الشكلية، ولسان حاله يردد كلمات الرسول بطرس: "أين هو موعد مجيئه..."؟! (٢بط ٣ : ٤). لذا يؤكد الرب أن وقت العقاب قد اقترب، الأمر الذي ظنه الشعب اليهودي لن يحدث لذا تتكرر في هذا الأصحاح العبارات: "نهاية، قد جاءت النهاية، الآن النهاية عليك (أي ضدك)، شرٌ شرٌ هوذا قد أتى، جاء الوقت، بلغ اليوم" (حز ٧ : ٢و٣و٥و١٢)...

حقاً ستكون النهاية مؤلمة للغاية، لا لأن الله يريد مرارة نفوسنا، بل لأن هذه هي طبيعة الخطية نفسها، الاضطراب والغم إذ يقول: "اقترب يوم اضطراب لا هتاف الجبال" (حز ٧ : ٧)، انتهت التسابيح ونُزع الفرح منهم وحلَّ الهم والضيق بسيطرة الخطية عليهم: "أجلب عليك كطرقك ورجاساتك تكون في وسطك" (حز ٧ : ٩)

يؤكد ذلك القديس **أوغسطينوس في** تعليقه على كلمات المرتل: ("كما يذوب الشمع قُدّام النار يبيد الأشرار قدّام الله" (مز ٦٨ : ٢)، إنهم يهلكون بصورة ما من نار شهواتهم. هنا (في العالم) يوجد نوع من العقوبة الخفية للخطاة يتحدث عنها المزمور... فالشهوة شريرة كالحرق والنار. فهل تحرق النار ثوباً ولا تحرق شهوة الزنا النفس؟! إن الكتاب يقول عن الزنا المتعمّد: "أيأخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه"؟! (أم ٦ : ٢٧). ويقول الرسول: "لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم..." (رو ١ : ٢٤). انظر إذن إلى النار التي تجعلهم كالشمع يذوبون!) (في تفسيره للمزمور ٦٨)

ويحدد النبي إن هذه الرجاسات المستوجبة للعقاب تنحصر في رذيلتي الكبرياء والظلم، فيقول عن أولهما: "أزهرت العصا. أفرخت الكبرياء" (حز ٧ : ١٠)، وعن الثانية: "قام الظلم إلى عصا الشر" (حز ٧ : ١١). تظهر الكبرياء بالأكثر في علاقة الإنسان مع الله، ويظهر الظلم في علاقة الإنسان مع أخيه، وإن كانا كلاهما مترابطين معاً، ويدلان على قساوة القلب كطبيعة شريرة تفسد حياة الإنسان الداخلية والخارجية.

الكبرياء تؤدي بالإنسان إلى المذلة حتى لا يجد من يترفق به، والظلم يؤدي به إلى فقدان ما لديه حتى لا يجد من يرحمه: "لايبقى منهم ولا من ثروتهم ولا من ضجيجهم ولا نوح عليهم" (حز ٧: ١١).

العقوبة الشاملة لمختلف جوانب الحياة:

يسمح الله بالضيقات لشعبه لعلّه يعود ويفكر في وعوده وتأديباته، لذا يتحدث هنا عن حالة خراب وتدمير شامل للمدينة من النواحي الإجتماعية والدينية والإقتصادية، فالشاري لا يفرح لأنه لا يملك ما يشتريه، وكذا البائع لأنه لا يعود إلى تجارته، تضرب الأبواق للحرب ولكن ليس من يقوم ليحارب... إنها حالة ضياع كامل! السيف يطاردهم من الخارج والوباء والجوع من الداخل، والذين يهربون لا يكونون كالأسود القوية بل في ضعف الحمام الذي يطير في هدير مستمر، ويفقدون كل طاقة جسدية أو نفسية أو روحية: "كلّ الأيدي ترتخي وكلّ الركب تصير ماء" (حز ٧: ١٧)، يدخلون في حالة حزن شديد كمن يندب ميتاً إذ "يتنطقون بالمَسْح ... وعلى جميع رؤوسهم قَرَعٌ" (حز ٧: ١٨)، لقد فقدوا كل رجاء لهم وكل تقديس.

غناهم الذي شغلهم عن الإهتمام بالوصايا الإلهية والتهديدات السماوية لا يقدر أن يخلصهم بل يكون سبب هلاكهم، إذ يستخدمونه في عبادة الأوثان: "يلقون فضتهم في الشوارع وذهبهم يكون لنجاسة" (حز ٧ : ١٩) .ما هي الفضة إلا كلمة الله المصفّاة سبع مرات؟ بدلاً من أن يقتنوها في قلبهم ويحتفظون بها في مخازنهم الداخلية يلقونها في الشوارع ويهملونها، أما الذهب الذي يرمز إلى السماويات فبدلاً من أن يرفع حياتهم إلى الشركة مع الله ليختبروا الحياة السماوية في داخلهم يتعثرون في طريقها ويزدادون نجاسة!

على أن البعض قد انشغل عن الله أيضاً في شكليات العبادة، لهذا سمح الله بخراب الهيكل المنظور لعلهم يهتمون بالهيكل الداخلي في القلب. لقد دنسوا مذبحه بعبادة الأصنام فسلّم الرب هيكله إلى الجنود الغرباء المحاصرين لنهبه، وإلى أشرار الأرض لسلبه، لقد حوّل وجهه عن بيته ما دام أولاده قد حولوه إلى مغارة لصوص وترك الأشرار يفعلون به مالا يليق: "أُحوِّل وجهي عنهم فينجسون سرّي (٤) ويدخله المعتنفون

(٤) ربما يعني بكلمة سري مدينة أورشليم وقد ترجمت في الفرنسية إلى (كنزي mon tresor).

وينجسونه"(حز ٧ :٢٢) . إنهم لم يفعلوا ذلك فقط بل كسروا الوصية الإلهية وسلكوا بالظلم فخرجت عبادتهم من قلب ملطخ بالدماء ظلماً، لذا ترك الله الغرباء يدنسون مقادسهم، وربما يقصد الهيكل نفسه أو بيوتهم كمقدسات، فهو يقول:"اصنع السلسلة لأن الأرض امتلأت من أحكام الدم والمدينة امتلأت من الظلم فآتى بأشر الأمم فيرثون بيوتهم وأبيد كبرياء الأشداء فتتنجس مقادسهم"(حز ٧ :٢٣, ٢٤) إنه يسمح بإعداد السلسلة أي القيود لأسرهم، وفضلاً عما سبق فهم يخدعون نفوسهم بنبوات كاذبة، فعوض التوبة يطلبون من الأنبياء والكهنة سلاماً كاذباً وخداعاً لهذا ظهر أنبياء كذبة يتنبأون ليس بحسب أمر الله وإنما حسبما يرضي أهواء الناس، وبادت الشريعة عن الكاهن والمشورة عن الشيوخ هؤلاء يقولون: "سلام سلام ولا سلام" (إر ٨ : ١١)

وفضلاً عن نهاية الحياة الإجتماعية والحياة الدينية الشكلية نرى هنا نبوة عن نهاية الحكم الزمني: "الملك ينوح والرئيس يلبس حيرة وأيدي شعب الأرض ترجف" (حز ٧ : ٢٧) . فالإنسان يميل لأن يعتمد أحياناً

على السلطان الزمني ظاناً أنه لن تمسه تأديبات الرب لهذا يكسر الرب هذا السلطان الزمني فينوح الملك... وهنا يشير إلى يهوياكين والملوك السابقين (حز ١٧ : ١٢ ، ٤٣ : ٧و٩) كما إلى الملوك اللاحقين أيضاً (حز ٣٧ : ٢٢و ٢٤). أما الرئيس المذكور هنا فيقصد به رئيس الجماعة الجديدة أو الطبقة الحاكمة في ذلك الحين، وكان شعب الأرض فيما قبل السبي يشير إلى غير العبرانيين أما هنا فيقصد به الشعب اليهودي.

الفصل الخامس

النجاة للمختومين من الهلاك الآتى

ملخص ما سبق: عرضنا فيما سبق للمرحلة الأولى من نبوات حزقيال طوال زمان عمله النبوى الذى دام ٢٢ عاماً. وبدأت تلك المرحلة فى السنة الخامسة للسبى حوالى ٥٩٢ق.م. وفيها رؤية المركبة الإلهية النارية كدعوة لانطلاقه لبدء العمل النبوى، كما تسلم كلمة الله كدرج يأكله فيشبع جوفه ويمتلىء فمه حلاوة. وقد ناداه الله بلقب خاص تميّز به وهو "يا ابن آدم"، وتكرر ٨٥ مرة فى هذا السفر (بينما نودى به دانيال النبى مرة واحدة فقط). وأبلغه الله أن يعلن رسالته للشعب سواء سمعوا أو أبوا، فهو غير مسئول عن مدى قبولها. ونطق حزقيال النبى بهذه النبوات أساساً للمسبيين على نهر خابور وكان يرسل رسائله إلى البقية المتبقية في أرض فلسطين، ثم أوردنا الوسائل الإيضاحية الأربعة التي قدمها النبي بنفسه وبأعماله علّها تثير إهتمام المسبيين عن معناها وهي: اللبنة المرسومة، والنوم على الجنب، والأكل بالوزن، وحلق الشعر. وكذا تحدثنا عن نتائج خطايا يهوذا الخطيرة والتى من أجلها صار الله

يعاملهم معاملة العدو، ليس إن قلبه قد تغير من نحوهم بل إن قداسته استلزمت تأديبهم بهذا العقاب.

عبادة الأوثان فى هيكل الله!

بهذا الأصحاح الثامن يبدأ حزقيال سلسلة من الرسائل تستمر حتى الأصحاح الحادى عشر، والتاريخ المدون هنا هو بعد مرور حوالى سنة على رؤى ونبوات الأصحاحات السبعة السابقة، أو بعد أربعة عشر شهراً من دعوته، وربما فى الفترة ما بعد نومه على جنبه الشمال ٣٩٠ يوماً وقبل نومه على جنبه اليمين أربعين يوماً. وكان جالساً بين شيوخ يهوذا عند نهر خابور، ولكنه وجد نفسه بالروح فى مدينة أورشليم فى هيكل الرب فقال: ".. أن يد السيد الرب وقعت علّى هناك فنظرت وإذ شبه كمنظر نارٍ، من منظر حقويه إلى تحتُ نارٌ، ومن حقويه إلى فوق كمنظر لمعانٍ كشبْهِ النحاس اللامع" (حز ٨: ١، ٢). لقد أعلن له منظر "كلمة الله المتجسد" الذى هو شبه منظر إنسان (كما فى السبعينية). رآه يتقد ناراً من حقويه إلى أسفل، ومملوء لمعاناً من حقويه إلى أعلى. وكاد النبى ينهار بل ييأس حينما اطلع على حالة العابدين بمختلف فئاتهم فى الهيكل، لذا قدم الله له هذه الرؤيا حتى تطمئن نفسه وعرف أنه

لابد أن يعمل "كالنار" الآكلة التى تحرق كل نجاسة وشر، ويجعل شعبه كشبه "النحاس اللامع" فى أمجاده الأبدية، لقد تدنس الهيكل ولكن رب الهيكل قادم ليعطى المؤمنين تطهيراً واستنارة داخلية.

يقول حزقيال النبى "ومدَّ شِبه يد وأخذنى بناصية رأسى ورفعنى روحٌ بين الأرض والسماء وأتى بى فى رؤى الله إلى أورشليم إلى مدخل الباب الداخلى (للهيكل) المتجه نحو الشمال حيث مجلس تمثال الغيرة المهيِّج الغيرة" (حز ٨ : ٣). لقد رفعه الروح بين الأرض والسماء، فهو ليس على الأرض إذ لا يستطيع أن يرى ما يحدث داخل الهيكل ولا يستطيع وهو فى حدود الجسد والأرض أن يرى سرائر العابدين ونياتهم الداخلية. **لقد أطلقته يد الرب فوق الحدود الجسدية والأرضية** وهو فى نفس الوقت ليس فى السماء إذ لم يدخل كمال مجدها، وكأنما لسان حاله كلمات بولس الرسول: "أفى الجسد... أم خارج الجسد لستُ أعلم. الله يعلم" (٢ كو ١٢ : ٢).

لقد دخل به الروح إلى مدخل الهيكل وأراه مجلس تمثال الغيرة المهيِّج الغيرة، وربما قصد بتمثال الغيرة تمثال السارية الإلهية الأم للكنعانيين الذى وضعه منسَّى فى الهيكل (٢ مل ٢١ : ٧)، وأخرجه

يوشيا (٢ مل ٢٣ : ٦). وربما يكون تمثال الإله تموز (١) أو أى تمثال وثنى آخر يثير غيرة الله على مجده لأنه سبق وقال "لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ لأنى أنا الرب إلهك إلهٌ غيورٌ" (خر ٢٠ : ٥).

خدعة «الرب لا يرانا» هى أساس كل سقوط:

رأى حزقيال النبى ثقباً فى الحائط، وبأمر إلهى نقب فى الحائط فوجد باباً فدخل منه وإذا به يرى **سبعين رجلاً من يهوذا** ومعهم يازنيا بن شافان يقدمون بخوراً أمام مختلف الحيوانات النجسة وسط الظلام قائلين: "الرب لا يرانا. الرب قد ترك الأرض" (حز ٨ : ١٢).

إن شافان غالباً هو ذلك الرجل الشهير الذى ساعد يوشيا الملك فى إصلاحاته منذ حوالى ثلاثين عاماً، ولكنه أنجب ذلك الرجل الفاسد

(١) كان تموز إلهاً بابلياً ويسمونه أيضاً أدونس أو رب الشفاء واشتق اسمه ليطلق على الشهر الرابع من السنة البابلية (الموافق لشهر يوليو). وكان تموز زوجاً لأخته الإلهة عشتاروت وملكاً على الأرض السفلية، كما أنه كان إله المراعى وحارس القطعان ثم لقب بالراعى، وكانوا يتصورون أنه يموت سنوياً ثم يعود إلى الحياة مع السنة الجديدة. وتقول أسطورته أنه لما مات توقفت الحياة على الأرض فاخترقت عشتاروت الأرض السفلية ومنحته الشفاء. وترمز هذه الأسطورة إلى موت النباتات أثناء حرارة الصيف وعودتها إلى الحياة فى الربيع، وأشار القديس كيرلس الإسكندرى وچيروم إلى أنه كان يعبد من الفينيقيين والفلسطينيين وفى سوريا أيضاً وتقام له احتفالات كل سنة وكانت النساء تنوح على موته وعند احتفالهم بعودته إلى الحياة يمارسون الزنا كجزء من عبادته. وقد أُشير إلى الإله تموز فى (دا ١١ : ٣٧)، (زك ١٢ : ١١).

يازنيا الذى اشترك مع السبعين شيخاً فى هذا الشر الشنيع. وهذا الرقم يُذَكِّرنا بالسبعين شيخاً الذين اختارهم موسى ليساعدوه فى قيادة الشعب قديماً، ولكن استخدمهم الشيطان هنا لإفساد حياة الشعب، فما أخطر انحراف القيادات الروحية عن رسالتها! ولعل هذا هو ما يصدر عنا أحياناً حينما ينقب الإنسان ـ بأمر إلهى ـ الحائط المقام فى داخله ويدخل به الروح القدس إلى أعماقه الباطنية فيكتشف فى داخله وجود يازنيا ـ أى إرادته ـ وشيوخاً ـ أى طاقاته المختلفة ـ ينحطون به إلى عبودية وشهوة الأرضيات، وما كان أجدر بهؤلاء الشيوخ أن يرفعوه إلى أمجاد السماويات. لقد كانت علة انحطاطهم أنهم خُدعوا بقولهم "الرب لا يرانا" لأنهم عزلوا أنفسهم عنه، بل أنهم ألقوا اللوم عليه بقولهم "الرب قد ترك الأرض"، بينما على العكس نرى أن سر القوة فى حياة المؤمنين هو إحساسهم بمعيّة الله لهم. لأنه يرانا دائماً ولا يتركنا حتى فى لحظات شرنا.

ما أخطر انحراف القيادات!

وللمرة الثالثة يقول الملاك المرافق للنبى ليس هذا هو شرهم فقط بل "تعود تنظر رجاسات أعظم هم عاملوها" (حز ٨ : ١٣)، فإن ما هو أخطر

من سقوط الرجال والنساء هو سقوط الكهنة أنفسهم! رأى حزقيال النبى خمسة وعشرين رجلاً يقفون بين الرواق والهيكل يعطون ظهورهم للهيكل ويتجهون نحو الشمس يتعبدون لها، وهكذا أحلُّو المخلوق بدل الخالق، لعل هؤلاء الرجال هم رئيس الكهنة والأربعة والعشرون كاهناً رؤساء الأربع والعشرين فرقة الكهنوت اليهودى. لقد امتد الفساد إليهم وكان الجدير بهم أن يكونوا شفعاء عن الشعب لدى الله، لكنهم أعطوا ظهورهم له فصاروا حاجزاً وعقبة يعطلون الشعب عن معرفته. هذا هو ما أثار غضب الله على يهوذا لهذا يقول: "قد ملأوا الأرض ظلماً"، وعوض التوبة قيل عنهم: "يعودون لإغاظتي وها هم يقربون الغصن إلى أنفهم" ربما كناية عن إغاظتهم للآخرين أو كحركة تعبر عن الإستهتار لذا لم يجد الله بدًا من معاملتهم بغضبه فأعلن قائلاً: "لا تشفق عينى ولا أعفو. وإن صرخوا فى أذنىّ بصوتٍ عالٍ لا أسمعهم" (حز ٨ : ١٨).

النجاة للمختومين فقط الذين يئنُّون حزناً على خطايا الشعب:

كان "إثم بيت إسرائيل ويهوذا عظيم جداً جداً وقد امتلأت الأرض دماءً وامتلأت المدينة جنَفاً (٢)" (حز ٩ : ٩)، ولكن وُجد أُناس قليلون

(٢) جنفاً = جوراً أو ظلماً، إنحراف عن العدل والحق.

يئنون فى حزن شديد على ما وصلت إليه أورشليم. إن من دلائل عمل النعمة فى النفس أن يحس المرء برعدة مقدسة من الخطية والنجاسة المحيطين به، شأنه فى ذلك شأن دانيال ونحميا وعزرا الذين حملوا خطايا الشعب على قلبهم واعترفوا بها عنه أمام الله. هؤلاء يختمهم الرب بسمة خاصة ليحفظهم تحت اسمه معتزاً بهم. وهذا هو موضوع الرؤيا التى قدمها الله لحزقيال النبى عندما صغرت نفسه جداً، وهى تذكرنا بما سبق أن أعلنه لإيليا النبى قائلاً له: "أبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التى لم تجثُ للبعل" (١ مل ١٩ : ١٨).

جاء "**ستة رجال** مقبلين من طريق الباب الأعلى الذى هو من جهة الشمال وكل واحد عُدّته الساحقة بيده" (حز ٩ : ٢)، ولعل مجيئهم من الشمال إشارة إلى الهجوم الكلدانى من جهة بابل، وربما لأن مجلس تمثال الغيرة كان فى مدخل الدار الداخلية المتجة إلى الشمال (حز ٨ : ٣)، وكأنه حيث يوجد الشر ينطلق من هناك التأديب الإلهى، أما كون عددهم ستة، فربما لأن أبواب أورشليم كانت ستة فى ذلك الحين، مما يوحى بأن الهجوم سيحدث من كل الأبواب ولا مجال للهرب منه. وكان قادة جيش الكلدانيين أيضاً ستة (إر ٣٩ : ٣)، وهو

بصفة عامة رقم يدل على النقص، ونعلم من سفر الرؤيا أن رقم اسم الوحش ٦٦٦ (ص ١٣) ويشير إلى تأكيد نقصه ثلاث مرات، فهؤلاء الرجال يقدمون للأشرار النتيجة الطبيعية المتوقعة لشرهم.

كان من بين هؤلاء الستة المؤدِّبين: "رجل لابس الكتان وعلى جانبه دواة كاتب" (حز ٩ : ٢)، كان بمثابة أمين سر أو كاتب يرتدى الكتان الذى يرمز إلى البر، وقد شد فى وسطه دواته أى محبرته على عادة ذلك الزمان. دخل الرجال ووقفوا بجانب مذبح النحاس الذى يرمز إلى عمل صليب المسيح والذى بموجبه سيُدان جميعُ الذين لم يؤمنوا به للتوبة والخلاص. ويرمز اللابس الكتان إلى المسيح الذى جاء لخلاصنا وأفاض لنا من جنبه دماً وماءً لتسجيل أسمائنا فى سفر الحياة، وعوضاً عن الخطايا التى سببت لحزقيال نوعاً من الشلل فنام على جنبه أياماً بلا حركة، أحنى المسيح رأسه ليحمل آثامنا ويدينها فى جسده. لم يكن ممكناً للموت أو الخطية أن يُمسكا به، فأفاض لنا من جنبه سر حياة وخلاص أبدى. لقد انفتح جنبه لكى ندخل إلى أحشاء محبته اللانهائية فيرفعنا إلى حضن أبيه مصالحاً إيانا معه بدمه الكريم، كقول بولس

الرسول: "فإذ لنا .... ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع..." (عب ١٠ : ١٩ ـ ٢١).

سمة الصليب:

"وقال له الرب اعبر فى وسط المدينة فى وسط أورشليم وسِمْ سمةً على جباه الرجال الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة فى وسطها" (حز ٩ : ٤). والسِّمة بالعبرية تُنطق "تاو"، ولعلها تشير إلى حرف T الذى هو علامة الصليب، وهى ختم ارتبط باسم الله منذ القديم وورد ذكرها فى (أى ٣١ : ٣٥). فإنه بسفك دم المسيح عن خطايانا صرنا ملكاً له وحملنا اسمه على جباهنا كسرِّ تقديسنا كما كان رئيس الكهنة قديماً يضع صحيفة من ذهب على جبهته مكتوباً عليها "قدسٌ للرب" (خر ٢٨ : ٣٦ ـ ٣٨). ونحن أيضاً ندخل بها إلى الحضن الأبوى فنصير محفوظين من الهلاك ونُختم بها فى مسحة الميرون المقدس كما هو مكتوب: "الذى فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده" (أف ١ : ١٣ ، ١٤). هكذا تصير كل أعضائنا مِلكاً للرب وتُحفظ نفوسنا فى حمايته الإلهية.

ويشير العلامة **أوريجانوس** إلى علامة التاو متحدثاً عن السمة على أنها علامة الصليب المقدسة، ويتحدث العلامة **ترتليانوس** عنها بكونها علامة آلام السيد المسيح كسرٌ للخلاص من الهلاك، كما قال: (إن الحرف اليونانى TAY أو حرفنا اللاتينى T هو نفس شكل الصليب الذى تنبأ عنه كعلامة أورشليم الجامعة الحقيقية). هذه هى العلامة التى تحفظ المؤمن، كما قال عنها القديس **يوحنا ذهبى الفم**: (أنت واحد من المؤمنين، إذن فارسم علامة الصليب، وقل هذا هو سلاحى الوحيد، هذا هو دوائى، لا أعرف شيئاً سواه)، وقال أيضاً: (ليُعلّق الصليب فوق أسرتّنا عوض السيف، ولننقشه على أبوابنا بدل المزلاج، وليكن حول بيوتنا موضع السور).

هؤلاء المختومون الذين يحملون السمة لم يقل عنهم حزقيال أنهم لم يخطئوا: "الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة فى وسطها" (حز ٩ : ٤)، ويرى القديس أوغسطينوس صورة حية للمجاهدين الذين يعيشون وسط الرجاسات يتعرضون لها لكنهم يطلبون الخلاص منها بتنهدات غير منقطعة: (إنهم يتنهدون ويتأوهون لذلك خُتموا على جباهم، خُتموا على جبهة إنسانهم الداخلى لا الخارجى،

إذ توجد جبهة للضمير كما توجد جبهة للوجه... هؤلاء اتسموا بالعلامة لكي لا يهلكوا لأنهم وإن كانوا غير قادرين على تصحيح الخطايا التي تُرتكب في وسطهم لكنهم يحزنون، هذا الحزن في ذاته يجعلهم في عيني الله مفصولين عن الأشرار حتى وإن كانوا في عيني الناس مختلطين بالآخرين. إنهم يحملون العلامة بطريقة سرية وليس علناً) . (٣)

ونلاحظ أن حزقيال الذي يركز في هذه الأصحاحات الأولى من سفره على التأديب والعقوبة لا ينسى أن يتحدث عن البقية المحفوظة لله وهي موضوع رعايته في كل جيل، فهو لم ينسى لوط وعائلته وسط سدوم وعامورة ولا نوح وعائلته وسط الطوفان، وحينما رفضته أورشليم وجد راحته في بيت عنيا في أسبوعه الأخير.

«ابتداء القضاء من بيت الله» (١ بط ٤ : ١٧)

صدر الأمر الإلهي بالتأديب، على أن يبدأ بالشيوخ العاملين في بيت الرب، "ابتدئوا من مقدسي" (حز ٩ : ٦)، وكما يقول العلامة

(٣) وتقدم الكنيسة لأبنائها هذه المسحة المقدسة السرية الثمينة كلما تدعوهم لأن يدهنوا بالماء المقدس في قداسات اللقان أو بالزيت المقدس في سر مسحة المرضى وليلة سبت النور....

أوريجانوس: (تبدأ الدينونة من بيت الله، كما حاسب الرب صاحب العشر وزنات أولاً ثم انتهى بصاحب الوزنة الواحدة (مت ١٨ : ٢٤)، فالله يهتم بتقديس الذين يعملون فى كرمه لكى يكونوا مثلاً حياً لشعبه، فإن أساء هؤلاء التصرف سقطوا فى التأديب قبل غيرهم، فما أحوج الكنيسة أن تهتم بتقديس كهنتها أولاً لأن العقوبة رهيبة حتى قيل: "فخرجوا وقتلوا فى المدينة" (حز ٩ : ٧))

تأثرت نفس حزقيال جداً بهذه الرؤيا عن قتل الكهنة والشعب (وكانت عتيدة أن تتحقق قريباً على أيدى الجيوش الكلدانية) فخرّ على وجهه أمام الله وتضرع إليه (خر ٩ : ٨) ألا يهلك البقية عندما يصب غضبه على أورشليم، فأجابه الله معلناً أن الحالة سيئة جداً حتى لا يمكن أن تتوانى الدينونة. على أنه قد سبق وأمر المهلكين وقال لهم: "لا تقربوا من إنسان عليه السمة" وكان الرجل اللابس الكتان متمنطقاً (كما جاء بالسبعينية) الأمر الذى يشير إلى اليقظة المستمرة كقول ذهبى الفم، وردّ الرجل اللابس الكتان جواباً قائلاً: "قد فعلت كما أمرتنى" (حز ٩ : ١١)، لكى يطمئن النبى من جهة أولئك الذين تواضعوا أمام الله وناحوا بسبب خطية يهوذا.

الفصل السادس

المركبة الإلهية تفارق الهيكل ومجد الرب يفارق المدينة

تمهيد:

نُكمل هنا ما ورد فى الأصحاح السابق (ص ٩) عن رؤيا الرجل اللابس الكتان الذى شكَّ الدواة فى جنبه وهو يقوم بدور المنفَّذ المباشر لقضاء الله، لأنه بعد أن عرضنا كيف أن عبادة الأوثان فاقت كل تصور حتى أدخلت الرجاسات إلى الهيكل وكان يُعبَّر عنها بمختلف صور الفساد الأدبى، كان لابد أن ينسكب الغضب الإلهى على الجميع ما عدا الأمناء الذين كانوا يئنون من تلك الحالة، هؤلاء الذين ختمهم الرجل اللابس الكتان بالسَّمة، لذا رأى حزقيال بعد ذلك رؤيا الجمر المنتثر على مدينة أورشليم ثم رؤيا المجد يرحل عن بيت الرب. وقبل أن يُفارق الرب بيته تماماً أُعلن للنبى المركبة الإلهية السابق رؤيتها عند نهر خابور غير أنه دعاها هنا باسم "الكاروبيم".

تذرية جمر النار على المدينة لحرقها:

الجديد فى هذه الرؤية هو أن الرجل اللابس الكتان يدخل بين البكرتين تحت الكروب، ويأمر كاروباً أن يملأ حفنتيه جمر نار من بين الكاروبيم ويذريها على المدينة لحرقها!

ليس من شك أن هذه الرؤيا تعتبر أصعب الأجزاء النبوية كلها، وهنا يجدر بنا أن نستعيد بعض الإيضاحات التفصيلية عن هذه المركبة الإلهية التى سمّاها شبه مجد الرب من أجل فهم أوضح لها:

+ نحن لا نقرأ فى العهد القديم كله أن السموات انفتحت إلا هنا لحزقيال (بينما فُتحت خمس مرات فى العهد الجديد) (١).

+ يذكر النبى أنه رأى المركبة ٤ مرات فى السفر، فالأولى فى بدء نبوته ثم هنا وفى الأصحاح التالى وأخيراً فى (ص ٤٣).

+ تُسمى الحيوانات الأربعة هنا بالكاروبيم لأنها مثل الملائكة كجمر نار متقدة وسيدين الله بهم شعبه.

+ كل حيوان ذُكر فى سفر الرؤيا (ص ٤) له وجه واحد وستة

(١) (مت ٣ : ١٦)، (يو ١ : ٥١)، (أع ٧ : ٥٦)

أجنحة أما هنا فله أربعة أوجه وأربعة أجنحة.

+ فى سفر الرؤيا لا نقرأ عن أيدى أو أرجل، أما هنا فلها أيدى إنسان تحت أجنحتها وأرجل قائمة.

+ ترتيب الأوجه فى سفر الرؤيا: أسد، ثور، إنسان، نسر، أما هنا فيأتى هكذا : إنسان، أسد، ثور، نسر، فتقدُّم الإنسان لأنه هو الذى سيقوم بدور الدينونة والقضاء.

+كل حيوان كان يسير إلى جهة وجهة أى مستقيماً بلا دوران، أى لا يمكن أن يعوقه شىء عن غايته.

+ كان الكل يسير موجَّهاً بواسطة الروح الذى هو التعبير عن الله عاملاً، وكانت الحيوانات "راكضة وراجعة كمنظر البرق"، أى أنها مرسلة سريعاً لتنفيذ ما يوكل إليها.

+البكرات توحى لنا بتطورات الزمن ومجريات الأمور التى يسيطر عليها الله، لأن روح الحيوانات كان فيها وكان منظرها كالزبرجد لأنها تُعلن عن كمالات الله، وإطاراتها عالية ومخيفة لأن قدرته تتحكم فى كل شىء.

+ فى سفر الرؤيا كانت الحيوانات حول العرش لأن يوحنا رآها من السماء، أما هنا فقد رآها النبى تحت العرش لأنه كان على الأرض. وهى هنا فى مكانها الصحيح وتتحرك تبعاً لتوجيه الروح.

+ الإنسان الذى رآه النبى على العرش محاطاً بالمجد مثل النحاس اللامع يُعبِّر عن القداسة التى لا تتغير وسط القضاء، والقوس التى فى السحاب يُعبِّر عن رحمة الله فى وسط الغضب.

+ البكرات (أو العجلات) لا تشير إلى مصير اعتباطى بل كانت ملآنة عيوناً حواليها رمز الإستنارة والبصيرة.

نعود إلى الرجل اللابس الكتان وقد ذكرنا أنه رمز لـ "كلمة الله المتجسد"، الذى جاء كاهناً يلبس الملابس الكهنوتية ليُقدم ذبيحة حبه لخلاص البشرية، أما دخوله بين البكرتين فإعلان أنه هو محور العهدين: القديم وغايته المسيح، والجديد وهو إعلان لسر المسيح، أما نزوله تحت الكاروبيم فإعلان عن سر تجسده كقول الرسول بولس: "وضعته قليلاً عن الملائكة" (عب ٢ : ٧). وهو قد أمر كاروباً أن يأخذ ناراً ويلقيها على المدينة إعلاناً عن حرق البابليين للمدينة على يدى نبوزراداان رئيس

الشُرَط (٢ مل ٢٥ : ٩)، لأنه بما أن المدينة المقدسة تركت عنها قداستها فهى قد استحقت الإبادة على أيدى الأعداء الأممين. ولعل هذه النار أيضاً ترمز للروح القدس النارى الذى أرسله السيد المسيح من عند الآب ليحرق فساد الخطية هادماً فينا المدينة القديمة أو الإنسان العتيق ليُقيم مدينة جديدة أو هيكلاً جديداً داخلياً يسكنه الرب.

ويلاحظ أنه عندما دخل السيد بين الكاروبيم ملآت السحابة الدار الخارجية أى أنه بمجىء الابن المتجسد أعلن مجده فينا نحن الذين كنا فى الخارج، إنه يقول : "وسُمع صوت أجنحة الكاروبيم إلى الدار الخارجية كصوت الله القدير الذى تكلم" (خر ١٠ : ٥)، فنحن الذين كنا خارجاً بلغ إلينا صوت الله القدير بمجىء الكلمة إلينا.

ومما يلفت النظر أن حزقيال رأى أوجه الكاروبيم كالآتى: "الوجه الأول وجه كاروب....." (حز ١٠ : ١٤) ثم أوجه إنسان وأسد ونسر، فيبدو أن وجه الثور اتحد مع وجه النسر الأمر الذى يُفهم منه أن طاقة الصبر والاحتمال الإلهى الممثل بالثور قد انتهت وجاء وقت تنفيذ القضاء.

مفارقة المجد الإلهى بيت الرب:

"وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ووقف على الكاروبيم، فرفعت الكاروبيم أجنحتها وصعدت عن الأرض قدام عينى" (حز ١٠ : ١٨). لقد أكد النبى أنه رأى مجد الرب يفارق بيته حيث انطلق بمركبته النارية بعيداً عن الشعب الرافض للمجد الإلهى. لم يكن ممكناً للرب أن يستقر حيث يصمم الإنسان على الشر، "لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأىٌ اتفاق للمسيح مع بليعال؟" (٢ كو ٦ : ١٤، ١٥).

كان لابد أن يُفارق الرب هيكله القديم الذى أصرّ على الجحود ليقيم فينا هيكلاً جديداً سماوياً هو من صنع روحه القدوس. ويتحدث العلامة أوريجانوس عنه قائلاً: (ليكن للنفس مذبح فى وسط القلب، عليه تقدَّم ذبائح الصلاة، ومحرقات الرحمة، فتُذبح فوقه ثيران الكبرياء بسكين الوداعة، وتُقتل عليه كباش الغضب وماعز التنعم والشهوات... لتعرف النفس كيف تقيم داخلها فى قدس أقداس قلبها، منارة تُضىء بغير انقطاع.)

مفارقة مجد الرب للمدينة:

يُقدم لنا الأصحاح الحادى عشر الجزء الأخير من الرؤيا الرائعة التى جاءت إلى حزقيال فى السنة السادسة، (وقد بدأت فى ص ٨)، وما زال النبى يتحدث عما رآه عندما أُتيح له بالروح أن يشاهد الأحوال السائدة فى أورشليم وتدبير الله بإزائها. وكان الهدف من ذلك أن يطبع فى ضمائر المسبيين أهمية الإصغاء إلى كلمة الرب كما جاءت إلى إرميا أخيه فى النبوة، معلنةً أن المسبيين سيستقرون فى الأمكنة التى أحلَّهم فيها مَنْ هزموهم، ويبنون بيوتاً ويغرسون كروماً ويتأهبون للإقامة فى أرض الغرباء سبعين سنة على الأقل، تَسْبُتُ أى تستريح الأرض خلالها. ولكن كثيرين ثاروا على هذا الأمر ظانين أن الرب سيتدخل ويسهل لهم طريق العودة إلى أورشليم، وقام أنبياء كذبة شجعوهم على توقعهم هذا، ووجه إليهم رسائل كثيرة.

مَثَل اللحم والقِدْر:

حُمل حزقيال بالروح إلى الباب الشرقى إلى الباب الشرقى من دار الهيكل حيث رأى عند مدخل الباب خمسة وعشرين رجلاً من رؤساء

إسرائيل يقدمون للشعب مشورة رديئة، وكان من بينهم اثنان هما يازنيا (أى الرب يسمع) بن عزور (أى المعين)، وفلطيا (أى الرب يخلص) بن بنايا (أى الرب يبنى)، ويبدو أنه كان لهما تأثير خاص وسط الشعب، ولعل معانى اسميهما تتفق مع النصيحة الغادرة التى قاوم بها الرؤساء نصيحة إرميا، ودلّلوا على مشورتهم بقولهم: "ما هو قريب بناء البيوت" (حز ١١ : ٣)، وهى عبارة غامضة لكنها تعنى أن المدينة فى أمان بدليل استقرار الحال وبناء البيوت، وكأنهم يخطّئون مشورة إرميا النبى الذى أعلن ضرورة قبول التأديب الإلهى خلال السبى البابلى. وكانوا يرددون القول: "هى القِدْرُ ونحن اللحم" (حز ١١ : ٣)، أى وإن كنا لحماً فأورشليم هى القدر الذى يحفظنا ويحمينا من هجمات الكلدانيين. لكن روح الرب كشف لحزقيال خطأ هذه المشورة معلناً أن الذين داخل القدر أى أورشليم ليسوا اللحم بل هم القتلى الذين سُفك دمهم بسبب مشورتهم الرديئة. فلو أنهم قبلوا مشورة إرميا وتفاهموا مع الكلدانيين لما سُفك دم هؤلاء، لهذا يؤكد الرب: "هذه لا تكون لكم قدراً ولا أنتم تكونون اللحم فى وسطها" (حز ١١ : ١١). وكأنه يقول إنها لا تكون مصدر حماية لكم ما دمت أنا نفسى ضدكم. "فى تخم إسرائيل أقضى

عليكم" (حز ١١ : ١١)، أى إن كانت المدينة هى مدينتى فتحتمون فيها، فأنا نفسى أقضى ضدكم لأنكم لم تسلكوا فى فرائضى ولم تعملوا بأحكامى. وبعد ما فارق الرب بيته ها هو يُفارق المدينة أيضاً لأن قادتها رفضوا المشورة الإلهية وتركوا عنهم الوصية. ولكى يؤكد النبى أن المشورة رديئة، أكدَّ أن روح الرب حلَّ عليه (حز ١١ : ٤)، ويقول القديس كيرلس الأورشليمى فى ذلك: (انظروا كيف أن الروح القدس يفرز ويدعو ويرسل بسلطان... إنه روح حىّ يهب الحكمة فى الكلام متحدثاً وواعظاً بنفسه). كما يقول: (ويجب أن نفهم الكلمتين "حلَّ علىَّ" بطريقة حسنة تعنى أنه حلَّ علىَّ بالمحبة كما وقع يعقوب على عنق يوسف حين وجده، وكما جاء فى الأناجيل عن الأب المحب حين رأى ابنه الراجع من ضلاله إنه تحنن عليه وركض ووقع على عنقه وقبَّله).

برهان صدق وقوة النبى:

بينما كانت الكلمات لا تزال فى فم حزقيال النبى، رأى فى رؤياه فلطيا وقد خرَّ صريعاً، وهذا كان قد حدث فعلاً فى أورشليم فى ذلك الوقت بالذات!... وتأثر حزقيال من عمق قلبه من بداية إتمام كلماته،

فخرَّ على وجهه ينتحب أمام الله وقال: "آه يا سيد الرب! هل تُفنى أنت بقية إسرائيل؟" (حز ١١ : ١٣).

وفضلاً عن موت فلطيا فقد دلَّل الرب على فساد مشورة الأردياء من ناحية أخرى وهى أنه إن كان الذين بقوا فى أرض يهوذا ولم يُحملوا إلى السبى (فى المرحلة الأولى) قد ظنوا أنهم أسعد حالاً من الذين حُملوا إليه مثل حزقيال نفسه، فهم مخدوعون. والذين ذهبوا إلى السبى لن ينساهم الله، وإن كانوا قد حُرموا من المقدسات الإلهية فى أورشليم، فسيصير هو نفسه مقدساً لهم فى غربتهم إذ يقول: "فإنى أكون لهم مَقْدِساً صغيراً فى الأراضى التى يأتون إليها" (حز ١١ : ١٦)، إنه يُقدس قلبهم بالتوبة واعداً إياها بالخلاص إذ يُكمل: "وأُعطيهم قلباً واحداً (وفى السبعينية قلباً آخراً) وأجعل فى داخلهم روحاً جديداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم، لكى يسلكوا فى فرائضى ويحفظوا أحكامى ويعملوا بها، ويكونوا لى شعباً فأنا أكون لهم إلهاً" (حز ١١ : ١٩، ٢٠).

إنه لا يعدهم بالرجوع من السبى إلى هيكل أورشليم بل بما هو أهم، إنه يحطم فيهم إنسانهم العتيق مقدماً لهم الإنسان الجديد،

فيصيروا هم أنفسهم هيكلَ الرب ومدينته المقدسة، إنه ينزع منّا نحن أيضاً القلب الحجرى أى الفهم الحرفى للناموس ويهبنا القلب اللحمى أى الفهم الروحى للوصية، وكما يقول القديس أوغسطينوس: يُعطى القلب الحساس عوض القلب الجامد الأمر الذى أشار إليه الرسول بقوله: "لا فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية" (٢ كو ٣ : ٣).

هنا بلغت الرؤيا إلى نهايتها، ورأى حزقيال الكاروبيم ترفع أجنحتها وعجلات القضاء معها "وصَعِدَ مجد الرب من على وسط المدينة ووقف على الجبل الذى على شرقى المدينة" (حز ١١ : ٢٣)، هذا هو الجبل الذى ناحية قدرون أو وادى يهوشافاط أى جبل الزيتون (٢ صم ١٥ : ٢٣، زك ١٤ : ٤)، لقد توقف مجد الرب قليلاً وكان يتمهل وكأنه حزين على مفارقة شعبه الذى أصرَّ على رفضه. إنه نفس الجبل الذى وقف عليه الرب يسوع فيما بعد وبكى ورثى أورشليم لأنها لم تعرف زمان افتقادها (لو ١٩ : ٤١، ٤٤). ثم فتح حزقيال عينيه فوجد نفسه فى أرض الكلدانيين عند نهر خابور مع جماعة من المسبيين الذين اجتمعوا حوله فأعلن لهم كل مارآه وسمعه.

المراجع

١ـ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

٢ـ قاموس الكتاب المقدس

٣ـ المرآة الجلية فى الرؤى والأحلام الإلهية لمثلث الرحمات نيافة الأنبا فيلبس

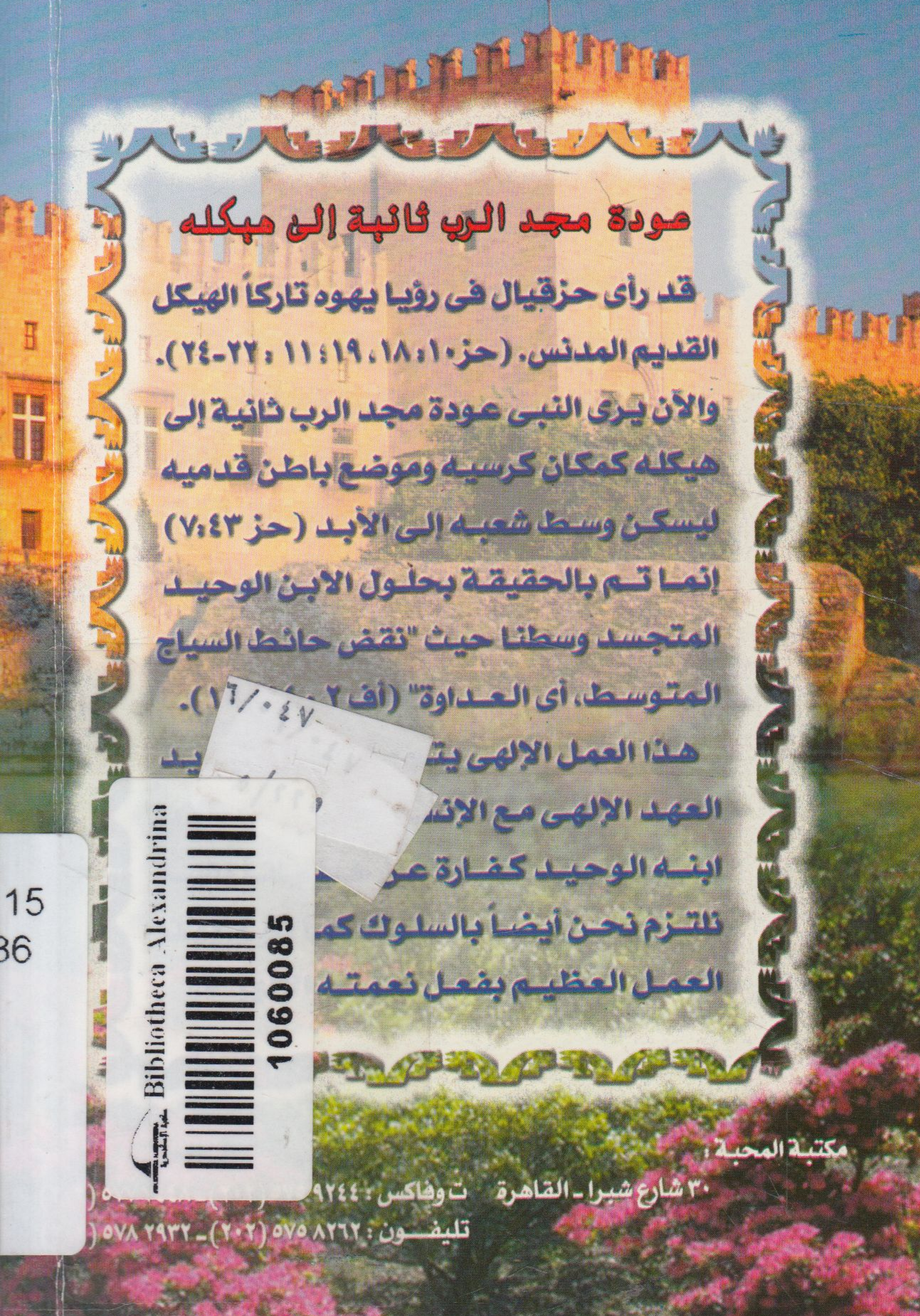
٤ـ جريدة وطنى لنيافة الأنبا غريغوريوس

٥ـ مجلة مرقس للآب متى المسكين

٦ـ حزقيال للقمص تادرس يعقوب ملطى

الفهرس

صفحة


عودة مجد الرب ثانية إلى هيكله
قد رأى حزقيال فى رؤيا يهوه تاركاً الهيكل
القديم المدنس. (حز١٠: ١٨، ١٩؛ ١١: ٢٢-٢٤).
والآن يرى النبى عودة مجد الرب ثانية إلى
هيكله كمكان كرسيه وموضع باطن قدميه
ليسكن وسط شعبه إلى الأبد (حز٤٣: ٧)
إنما تم بالحقيقة بحلول الابن الوحيد
المتجسد وسطنا حيث "نقض حائط السياج
المتوسط، أى العداوة" (أف ٢: ١٤).
هذا العمل الإلهى يت ... يد
العهد الإلهى مع الإنس
ابنه الوحيد كفارة عن
نلتزم نحن أيضاً بالسلوك كم
العمل العظيم بفعل نعمته
مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا ـ القاهرة ت وفاكس : ٩٢٤٤
تليفون : ٨٢٦٢ ٥٧٥ (٢٠٢) ـ ٢٩٣٢ ٥٧٨
Bibliotheca Alexandrina
1060085